A-PDF Merger DEMO : Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

النصر آتٍ
وهذا وعد خالقنا (قصيدة)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

٢١٨

الوعـــي

العدد ٢١٨ ـ السنة التاسعة عشرة ـ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ـ نيسان ٢٠٠٥م

الجامعة العربية...
النشأة والرابطة والأهداف

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

أيّها المسلمون: شعار بوش:
«القضاء على الطغيان ونشر الديمقراطية» استعمار بوجه جديد

من الهداية إلى الشهادة
(قصة شهيد) (٢)

التعامل مع قضايا المسلمين باعتبارهم أمّة واحدة
واجب حتمي

- يا نساءً بعمائم ولحى
- نحن والطائفية (١)
- صدق نبوءة «حزب التحرير»
- إصلاح أم تغيير؟

AL-WAIE

الوعي

السنة التاسعة عشرة –٢١٨

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ألمانيا

N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	١ يورو
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	١ يورو
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	١ يورو
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (٢١٨)

■ كلمة «الوعي»: أيّها المسلمون: شعار بوش: «القضاء على الطغيان ونشر الديمقراطية» استعمار بوجه جديد.. ٣
■ رياض الجنة: من خطب عمر رضي الله عنه ٥
■ نحن والطائفية (١) ٦
■ مع القرآن الكريم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ١٣
■ التعامل مع قضايا المسلمين باعتبارهم أمة واحدة واجب حتمي ١٤
■ أخبار المسلمين في العالم ١٧
■ من الهداية إلى الشهادة (قصة شهيد) (٢) ٢١
■ الجامعة العربية... النشأة والرابطة والأهداف ٢٦
■ صدق نبوءة «حزب التحرير» ٣٠
■ إصلاح أم تغيير؟ ٣١
■ يا نساءً بعمائم ولحى ٣٣
■ النصر آتٍ وهذا وعد خالقنا (قصيدة) ٣٤
■ كلمة أخيرة: عدة الشغل ٣٥

إلى السادة الكتّاب

● يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

● لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

● لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

● نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

● جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O Box: 11056
Sanaa - Yemen

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

England
Al-Waie
Suite 298
56 Gloucester Rd
London SW7 4UB

كندا : Canada
AL - WAIE
Eglinton Ave. East ٢٣٧٦
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www.al-waie.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

أيّها المسلمون: شعار بوش: «القضاء على الطغيان ونشر الديمقراطية» استعمار بوجه جديد

لقد بات واضحاً أن بوش، في ولايته الثانية، وبعد أن نظف إدارته من كل من يخالفه في أسلوب سياسته الدولية العدوانية، بدأ يسير في اتجاه جديد شعاره «القضاء على الطغيان» و«نشر الديمقراطية». معتبراً أن الأنظمة الاستبدادية هي سبب تفريخ الإرهاب، وبالتالي فإنه لا يتم القضاء على الإرهاب إلا بالقضاء على أسبابه. وفي هذا الاتجاه نجد أن في الكونغرس الأميركي قانوناً بعنوان: «تقدم الديمقراطية» وهذا القانون يرصد مبلغ ٢٥٠ مليون دولار مبدئياً «لدعم ومساندة الحركات والمؤسسات الديمقراطية في كل دول العالم بهدف إنهاء الطغيان في العالم» وهذا المشروع بكلف وزارة الخارجية وضع خطة محددة للسماح بحصول عملية انتقالية ديمقراطية في الدول غير الديمقراطية التي يقرر واضعو المشروع أنها ٤٥ دولة في العالم. كما يشد على أن تكون السفارات الأميركية في تلك الدول جزراً للحرية، فضلاً عن اجتماعها بممثلي الحركات المؤيدة للديمقراطية وحقوق الإنسان، وخصوصاً الجامعات.

ويعزز هذا الكلام ما نراه من أسلوب جديد في تغيير الأنظمة بدأت تعتمده أميركا، بعد غزوها للعراق، وهو ما أطلق عليه «ثورة الزهور» في جورجيا أواخر سنة ٢٠٠٣م والثورة البرتقالية في أوكرانيا أواخر سنة ٢٠٠٤م. وهو ما بدأت وسائل الإعلام الإقليمية والدولية وتصريحات السياسيين في المنطقة والعالم باستثماره وذلك بالتنبؤ بـ«الربيع العربي».

أما الذي ألجأ بوش إلى هذا الإسلوب الجديد، فهو ما منيت به أميركا من إخفاقات في حربها العدوانية على العراق، وهذا ما يعني أن هذا التوجه ليس دليل قوة وإنما دليل فشل. ومن المفارقات، إن بوش هذا بدأ ولايته الأولى بشن الحرب على المسلمين، أما في ولايته الثانية فإنه سيظهر نفسه أنه نصير للمسلمين وأنه سيشن حربه على الأنظمة الاستبدادية التي تحكمهم، والتي لا يكنون إلا الكره لها ومحبة الانتقام منها.

هكذا وبكل بساطة يغير بوش جلده ويلبس ثياب المصلحين، ويمضي بدعواه أنه مكلف من ربه بنشر الديمقراطية والحريات، وتأمين حقوق الإنسان، والقيام بإصلاح العالم على الطريقة الرأسمالية، ومحاربة الطغيان، وفتح المجال أمام شعوب الأرض لتقرير مصيرها عبر الانتخابات، وهو في حقيقة أمره مكلف من شيطانه بذلك، مكلف منه بفرض رأسماليته المتوحشة بالانقلابات والدسائس والمؤامرات، وشراء الذمم، وخداع الشعوب... إنه يذكرنا بزعيم للمافيا خصص في بيته كنيسة يطلب فيها المغفرة، ويصلي داخلها، بينما هو يدير الدعارة والقتل وتجارة المخدرات ويستبيح كل المحرمات في الخارج...

هذه هي أميركا، ومخطئ من ظن يوماً أن لأميركا ديناً، إنها بحسب قانون «تقدم الديمقراطية» المذكور، وبحسب تصريحات مسؤوليها المتكررة، وبحسب تحركات مبعوثيها في المنطقة، وبحسب تحركات سفرائها في بلاد المسلمين، تريد «دعم ومساندة الحركات والمؤسسات العميلة لها، التي تتلطى بالديمقراطية، وتحرير المرأة، وحقوق الإنسان... في بلاد المسلمين بهدف إنهاء الطغيان في العالم»

وتريد من سفرائها، برعاية من وزارة خارجيتهم، الاجتماع مع ممثلي الحركات المؤيدة، أي العميلة، والمؤسسات، وفي الجامعات خصوصاً، وهذا ما يحدث فعلاً... إنها تريد إنهاء الطغيان وهي الطاغوت الأكبر.

إن هذا الأسلوب في التعامل السياسي لتغيير الأنظمة، يبدو أنه دخل ضمن الصراع الدولي الذي عاد ليحتدم من جديد، وليمنع أميركا من مواصلة سعيها الدؤوب للتفرد بحكم العالم. فقد دخلت على خطه دول أوربا ثم روسيا. وإن أميركا عندما تريد تغيير الأنظمة، تحت أي اسم كان، سواء بالحرب أم بالسلم، أم بالزهور، فإن معنى هذا أنها تريد أن تحولها من العمالة لغيرها إلى العمالة لها، وهذا الغير هو دول أوروبا بالتحديد. وأوروبا يبدو أنها بدأت تشد عزمها على منافسة أميركا في هذا الأسلوب، وذلك كما يحدث في دارفورد، وما حدث من محاولة تدخلها عن طريق دعم المعارضة اللبنانية لتغيير النظام وإخراج النفوذ الأميركي من لبنان بعد مقتل الحريري، وعن طريق دفع الاتحاد المغاربي لتسوية مشاكله، والسير بطريق الإصلاح حتى لا تطال دوله ذراع التغيير الأميركية.

أما الأنظمة التي تحكم المسلمين بالحديد والنار، تلك الأنظمة الجائرة، المتسلطة، العقيمة التي عملت في المسلمين ذلاً وتقتيلاً، وفقراً وإرهاباً وقمراً وقمعاً... هذه الأنظمة هي في الوقت نفسه خائنة وعميلة، ومرتبطة كل منها بدولة من دول الغرب. وإن أميركا ستتوجه نحو الأنظمة التي لا تسير في ركابها لتغييرها حقيقة، ونحو الأنظمة التي تسير معها لتغير من سلوكها الاستبدادي وتتجه نحو الإصلاح الذي يقوم على الفساد والإفساد بالنسبة للمسلمين. ذلك الإصلاح الذي يريد من المسلمين أن تؤمهم في الصلاة امرأة، ذلك الإصلاح الذي يجعل أجواءهم الإعلامية مكشوفة للعهر الغربي، ذلك الإصلاح الذي من أهم ركائزه التطبيع مع يهود، ذلك الإصلاح الذي يريد تمزيق بلاد المسلمين الممزقة أصلاً من جديد، وفي المقابل ستقوم دول أوروبا بمثل فعلها، ومدعية دعوى الإصلاح إياه؛ لذلك تشهد المنطقة هجمة استعمارية من نوع جديد: ظاهرها الإصلاح وحقيقتها قائمة على الاستعمار، وتغيير الأنظمة، كل بحسب مصلحته.

أيّها المسلمون:

الحذر الحذر من أميركا وبريطانيا وفرنسا وألاعيبهم... إنهم العدو قاتلهم الله أنى يؤفكون. الفظوا وعدوا خائناً لله ولرسوله وللمؤمنين كل من يتعاون معهم من الحكام والحركات والمؤسسات... واعتبروه امتداداً لهم... إنهم يتنازعون أمركم... لا تدعو ظلم الحكام يعميكم عن إدراك حقيقة ما تخططه دول الكفر... فالخلاص هو بشرع الله الحنيف، وسبيله سبيل الرشد، سبيل رسول الله ﷺ لا سبيل الغي، سبيل أميركا وبريطانيا وفرنسا ومن والاهم.

أيّها المسلمون:

توجهوا إلى أبنائكم وإخوانكم ومعارفكم من أهل القوة ليكونوا سنداً وعوناً وردءاً للإسلام والمسلمين العاملين المخلصين. فالأمة منهم وهم من الأمة، وذكروهم بمقولة سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأبيه، ومن ألزم من الابن بأبيه، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة ٤] قولوا لهم أن يجدوا لهم مكاناً مشرفاً بين المسلمين، ويعملوا مع المخلصين الواعين من أبناء هذه الأمة، ليقيموا معهم الخلافة الراشدة الموعودة، ويحققوا وعد رسول الله ﷺ ❑

من خطب عمر رضي الله عنه

– أخرج الدِّيْنَوَرِي عن الشَّعْبِي قال: لما ولي عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر، فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله. ألا وإني أنزلت بنفسي من مال الله بمنزلة اليتيم، إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف» وروى أحمد نحوه.

– وفي خطبة جامعة له عن موسى بن عُقْبة قال: هذه خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى، ويفنى ما سواه. الذي بطاعته يكرَم أولياؤه، وبمعصيته يُضَل أعداؤه. فليس لهالك هلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى، ولا في ترك حق حسبه ضلالة. وإن أحق ما تعاهد الراعي من رعيته أن يتعاهدهم بما لله عليهم من وظائف دينهم الذي هداهم الله له، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيم فيكم أمر الله عز وجل في قريب الناس وبعيدهم، ولا نبالي على من مال الحق. وقد علمت أن أقواماً يتمنون في دينهم فيقولون: نحن نصلي مع المصلين، ونجاهد مع المجاهدين، وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لا يحملونه بحقه. وإن الإيمان ليس بالتحلي... ويقول الرجل: قد هاجرت ولم يهاجر، وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات. ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو، واجتناب الحرام، وقد يقاتل أقوام يحسنون القتال، لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر، وإنما القتل حتف من الحتوف، وكل امرئ على ما قاتل عليه، وإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة، فينجّي من يعرف ومن لا يعرف، وإن الرجل ليجبن بطبيعته فيسلم أباه وأمه...»

– وأخرج البَيْهَقِي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: «أفلح منكم من حفظ الهوى والغضب والطمع، ووفق إلى الصدق في الحديث، فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفجور، ما فجور من خلق من التراب وإلى التراب يعود؟ اليوم حي وغداً ميت، اعملوا عمل يوم بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدوا أنفسكم من الموتى ❑

نحن والطائفية (١)

حاول المستعمر بكل قوته أن يحارب أحكام المواطنة في الدولة العثمانية آنذاك وتحويل وتغيير نظام "الملل" الإسلامي في الدولة العثمانية إلى نظام المواطنة الوضعية التي لا تنظر إلى عنصر الدين في تفصيل الواجبات والحقوق في الدولة. الهدف كان مسح ومحق تصنيف الناس حسب التابعية لدار الإسلام؛ لما يترتب على ذلك من أحكام التجارة والجهاد وغيرها من العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات والملل المختلفة.

ولازلنا نرى آثار تلك المحاربة، وإن تغيرت الأساليب. فكان الهدف في السابق إدخال تغيرات في هيكل وأنظمة الخلافة العثمانية باسم الإصلاح والتحديث. أما الآن، و بغياب الدولة التي تمثل المسلمين، أصبح المستهدف الإسلام، وفهمنا لهذا الدين. كل هذا يقع تحت شعار «التجديد الديني» أو «تغيير الخطاب الديني».

تمهيد الطريق لإلغاء نظام الذمة

لقد غذت قوى الاستعمار نزعات الطائفية والقومية في البلاد الإسلامية في آخر عهد الدولة العثمانية، عن طريق دعم دعوة الانفصال عن الدولة العثمانية. وفي نفس الوقت استخدمت أبواق دعاية لها، تدعو إلى تبني الدولة العثمانية ما يسمى بنظام المواطنة على نمط أوروبي، في ما يسمى بالدول الوطنية الحديثة. كانت أول غرسة لضرب الدولة العثمانية من الداخل، واستبدالها بدول لا تنتمي للإسلام، وتأخذ النمط الأوروبي كبديل حتى تبعد الإسلام شيئاً فشيئاً من قلوب الناس، واستبدالها بمشاعر ما يسمى وطنية وقومية. فقد صرح لُوْرَنْس الجاسوس الإنكليزي المعروف بذلك، أثناء تنقله بين معسكرات أبناء الشريف حُسَيْن فقال: «وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا... وفي الحج أتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني على الاعتقاد الديني؟؟... وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟؟».

ويقول في تقرير بعثه إلى المخابرات البريطانية في كانون الثاني عام ١٩١٦م بعنوان سياسات مكة قال فيه: «لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأةً وبالعنف؛ لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم، فتمزقهم من داخلهم، وفي عقر دارهم، وسيقوم نتيجة ذلك خليفة للمسلمين في تركيا وآخر في العالم العربي؛ ليخوضا حرباً دينية فيما بينهما، ولن يخيفنا بعد هذا الإسلام...أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها...وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيبقون في دوامة الفوضى السياسية،

داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتناحرة غير قابلة للتماسك...».

وقد ذكر المرحوم السلطان عبد الحميد ذلك في مذكراته عن محاولات الاستعمار الأجنبي زعزعة الخلافة العثمانية من الداخل إذ قال: «وهل تستحق الدولة العثمانية هذه الحملات، وقد آوت النصارى الهاربين من جحيم الصراع المذهبي في الغرب خلال القرون الوسطى؟ ألم تكن الدولة العثمانية هي الملجأ الوحيد لليهود الناجين من بطش محاكم التفتيش في إسبانيا؟ ألم تبذل جمعية الهلال الأحمر العثمانية كل جهد ممكن لإيجاد المأوى والملبس لمن طرِد من وطنه في سبيل معتقده؟ ولكن من يعرف هذه الحقائق التاريخية أو يعترف بها؟ فماذا يقول غلادِسْتُون، وهو رجل إنجلترا الأول عن المسألة الشرقية، سوى التعريض بنا بأن بلادنا تحكم بالقوة والبطش بلا قوانين ولا أعراف، ألم يثبت كذب ما ادّعوه من وقوع مذابح للبلغار والأرمن؟ ألم يتبين أن أمر التخريب الذي زعموه في المدن بعد طرد سكانها هو محض افتراء؟ وأن النصارى يعيشون مع المسلمين حياة طبيعية وجنباً إلى جنب؟».

نستطيع أن نقول إن تمهيد الطريق لإلغاء نظام التابعية في بلاد الإسلام، واستبدالها بأنظمة وضعية، بدأت ومهد لها عن طريق الدعوة لنبذ الرابطة الإسلامية، واستبدالها بأفكار أخرى، كحب الوطن، وحب العشيرة والقوم. حتى انتقلت هذه الدعوات من مجرد حركات ورموز، إلى ثورات وقلاقل مدعومة من المستعمر، انتهت ولو بعد حين بدول علمانية تستوحي نظام التابعية على أسس إقليمية وقومية. لقد عرف السلطان عبد الحميد خبث هذه الدعوة والهدف منها إذ يقول في مذكراته: «إن الإنجليز قد أفسدوا عقول المصريين؛ لأن بعض المصريين يعتقد أن سلامة مصر ستأتي من الإنجليز، وأن هذا البعض أصبح يقدم القومية على الدين، ويظن أنه يمكن مزج حضارة مصر بالحضارة الأوروبية. وإنجلترا تهدف من نشر الفكر القومي في البلاد الإسلامية إلى هزّ عرشي، وأن الفكر القومي قد تقدم تقدماً ملموساً في مصر، والمثقفون المصريون أصبحوا من حيث لا يشعرون ألعوبة في يد الإنجليز. إنهم بذلك يهزّون اقتدار الدولة الإسلامية، ويهزّون معها اعتبار الخلافة».

لقد حصل ما توقعه السلطان عبد الحميد، فسرعان ما ضربت النزعات القومية الخلافة العثمانية من الداخل، حتى على أنقاضها خرجت دول تتبنى القومية والإقليمية كأساس للمواطنة بدلاً من جعل الشرع الحنيف الأساس الذي تقاس عليه أحكام التابعية.

الطوائف المختلفة في الدولة الإسلامية

التاريخ يشهد لحسن معاملة المسلمين للطوائف المختلفة في الدولة الإسلامية، لقد أعطى الإسلام الاستقلال الذاتي للملل المختلفة تحت سلطان الإسلام، فلهم محاكمهم ومعابدهم الخاصة بهم، لا تتدخل سلطة الدولة في أمور دينهم. لعلنا نضرب بعض الأمثلة لذلك من فعل الرسول ﷺ والخلفاء من بعده عبر العصور:

● كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران: ينقل ابن سعد في طبقاته نص هذا الكتاب كما يلي «وكتب رسول الله ﷺ لأسقف بني الحارث ابن كعب، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ومن

تبعهم، ورهبانهم، أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم ورهبانهم وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين».

● كتاب خالد بن وليد رضي الله عنه إلى أهل دمشق: عند فتح دمشق كتب خالد بن الوليد إلى أهلها «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها، أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وسور مدينتهم لا يهدم، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله ﷺ والخلفاء والمؤمنين، لا يُعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية».

● استرجاع خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كنيسة يوحنا: أخذ الوليد بن عبد الملك كنيسة يوحنا المعروف من النصارى بالقهر، وضمه للجامع الأموي، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة اشتكى له النصارى من أهل الذمة، فأمر باسترجاع الكنيسة لهم.

● الدفاع والذود عن أهل الذمة: لما كان عهد الذمة عهد أمان وحماية، وجب على المسلمين الدفاع عنهم وعن أموالهم وأعراضهم والذود عنهم، في هذا الصدد قال النوويّ: «ويلزمنا الكفُّ عنهم، وضمان ما نُتلفه عليهم، نفساً ومالاً، ودفعُ أهلِ الحرب عنهم». فوق ذلك يجب فك أسر أهل الذمة إن أسرهم العدو، يقول ابن النجار الحنبلي «يجب على الإمام حفظ أهل الذمة، ومنع من يؤذيهم، وفكُّ أسرهم، ودفع من قصدهم بأذى». عهد الذمة عهد عظيم، يترتب عليه بذل كل شيء لحماية أهل الذمة؛ لأن عهد الذمة عهد نصرة بكل ما تعني الكلمة، يقول القرافي: «فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم». في هذه المسألة يذكر الإمام القرافي عن الإمام ابن حزم إجماعاً للمسلمين «من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة».

● وأيضاً في هذا الصدد قد أورد البَلاَذِري أن السامِرَة (فرقة من اليهود) «كانوا عيوناً وأدلاء» للمسلمين، وأن يهود حمص قاموا بحراسة أبواب المدينة، حين خرج منها جيش المسلمين للالتحاق بمعركة اليرموك، «وكذلك فعل أهل المدن، التي صولحت من النصارى واليهود». كما نقل برنارد لويس في كتابه "العرب في التاريخ" أن عرافاً يهودياً كتب عن الحكم الإسلامي فجعل ملاكاً يقول لكاهن «لا تخف يا ابن يهوه، فالخالق تبارك اسمه لم يضع مملكة إسماعيل إلا ليخلصكم من هذا الشر» والمقصود "بهذا الشر" هم الروم البيزنطيين.

كانت الشريعة الإسلامية الأساس في التعامل مع الطوائف المختلفة، ولم يعش العالم الإسلامي تعايشاً سلمياً مستقراً إلا في عهد سلطان الإسلام، فما غابت شمس الإسلام إلا وانفجرت الصراعات والحروب الأهلية. فكيف يحمل الإسلام والشريعة تبعات الصراع الطائفي اليوم؟

من وراء تغذية النعرات الطائفية؟

من كان وراء اصطناع القلاقل في آخر عهد

الدولة العثمانية؟ من شجع ودعم ثورة القوميات والطوائف؟ بلا شك شهدت هذه الحقبة الأخيرة صراعات مريرة لم يشهد التاريخ الإسلامي مثلها. فهل العيب في الدولة العثمانية ونظام "الملل" المستمد من الشريعة الإسلامية؟

إنه من الإجحاف وإنكار الحقيقة أن ندعي أن الدولة العثمانية بقوانينها الشرعية أدت إلى إثارة قلاقل طائفية، أو ظلم تجاه الرعية، وخاصة غير المسلمين. إن التاريخ يشهد أن الدولة العثمانية كانت، كما كانت الدول الإسلامية من قبلها، مثال رائع في العدل والإنصاف لرعاياها من غير المسلمين. هذا على عكس أوروبا التي مارست أبشع أنواع الاضطهاد لكافة الطوائف، وحتى ضمن إطار الدين المسيحي نفسه. لعلنا نذكر شهادة «دْجُوفَارَا» من وزراء رومانيا، الذي ألف كتاب عقب الحرب العالمية الأولى باسم "مائة مشروع لتقسيم تركيا" الذي عدد مشاريع الدول الصليبية ضد الخلافة العثمانية عقب ستة قرون. ينقل من هذا الكتاب الأمير شَكِيبْ أَرْسْلاَنْ في كتابه "حاضر العالم الإسلامي" فيذكر عنه: «ثم إن احترام المعاهدات، والعمل بموجب الكلمة المعطاة، كانا من مزايا العثمانيين الذي يدور عليهما التاريخ العثماني كله» ويقول: «العداوة الحقيقية كانت عداوة النصارى للمسلمين، برغم تسامح المسلمين في الدين والحرية الدينية التي كان يتمتع بها المسيحيون في السلطنة العثمانية» وقال: «مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية» ثم يعلق الأمير شكيب أرسلان على هذا الكلام من دجوفارا «ثم ذكر في خلاصة كتابه، أن أعظم أسباب انحلال الدولة العثمانية هو مشربها في إعطاء الحرية المذهبية والمدرسية التامتين للأمم المسيحية التي كانت خاضعة لها؛ لأن هذه الأمم بواسطة هاتين الحريتين كانت تبث دعايتها القومية، وتتماسك وتنهض وتتمالأ وتسير سيراً قاصداً في طريق الانفصال عن السلطنة العثمانية. وسواء كان هذا المؤلف قد أعلن هذه الحقيقة أم لم يعلنها، فإنها الحقيقة التي لا شائبة فيها. ولذلك نجد ملاحدة أنقرة يجعلون من جملة حججهم في نقض الشريعة الإسلامية قولهم: إنه لولا مراعاة هذه الشريعة لكانت السلطنة التركية بقيت على عظمتها الأولى، ولم يطرأ عليها هذه المصائب التي لزمتها مدة قرون، بسبب وجود الثلث من سكانها وربما أكثر من الثلث مسيحيين، وبأن الشريعة كانت تمنع السلاطين من إجبارهم على الدخول في الإسلام أو الجلاء».

يذكر العلامة مُصْطَفَى صَبْرِي قصة عن رضا غير المسلمين بالتحاكم إلى المحاكم الشرعية (مع علمهم بأن هذه المحاكم لا تحكم إلا بالعدل) «وأنا لا أنسى ما وقع في البرلمان العثماني، وكنت يومئذ نائب "تُوْقَاْد" وقد استمر بين الأروام والبلغار العثمانيين نزاع على الكنائس الموجودة في "مقدونيا" التي كانت في ذلك الحين من أجزاء البلاد العثمانية، وكل من الفريقين يدعي الاستحقاق لتلك الكنائس، فساقت الحكومة المسألة إلى مجلس النواب ليفصل بينهما، فصعد آريستيدى باشا الرومي نائب أزمير منبر الخطابة، وهو يعلم أن حزب الاتحاد والترقي المستولي على الوزارة والبرلمان يميل إلى جانب البلغار؛ لكونهم كثرة في مقدونيا بالنسبة إلى الأَرْوَاْمْ، وكون نوابهم من مساعدي الحزب في البرلمان، وهذا على الرغم من أن الكنائس المذكورة من وقف

الأَرْوَامْ، فقال: "إن لهذه الدولة دار الفتوى، تفصل في المسائل المعروضة عليها بموجب القوانين الشرعية، فأحيلوا الأمر على رأي تلك الدار، ونحن الأروام راضون عما ستصدره من القرار" وكان الباشا الرومي يعلم أن كلمة دار الفتوى لا تكون إلا حقاً، وأن الوزارة لا تقدر على استمالتها إلى خلاف الحق».

فالسؤال لماذا ثارت القوميات المختلفة في الدولة العثمانية، من قام بتسليح القوميات ودعمهم وتحريضهم على الدولة العثمانية؟ المتتبع لنوع الصراع في آخر الدولة العثمانية يجد أن الصراع أخذ طابعاً قومياً، أي لم تأخذ على الأعم الصراعات طابع طائفي. نعم لعب الدين دوراً، ولكن ليس كمحور للقلاقل داخل الدولة، ولكن كعامل قومي، بمعنى لعب الانتماء الديني دوراً في صناعة هوية قومية مستقلة كثورة الصرب، ولكن لم يكن الدين المحرك في إثارة الاضطراب داخل الخلافة العثمانية. في محاضراته عن نشوء النزاع القومي في القرن التاسع عشر يقول سَاْطِعْ الحُصَرِيْ «بدأت الفكرة القومية -والحركة الاستقلالية- تظهر بين الصرب، التابعين إلى السلطنة، منذ أوائل العقد الثاني من القرن التاسع عشر. وذلك على شكل جهود تبذل في سبيل إنهاض اللغة القومية من جهة، وإحياء التاريخ القومي من جهة أخرى. وقد بذل مفكرو الصرب وزعماؤهم جهوداً كبيرةً جداً -منذ سنة ١٨١٧م- للنهوض باللغة الصربية: فإنهم دونوا قواعدها الصرفية، وجمعوا كلماتها في قاموس محيط، وترجموا الكتاب المقدس إليها، وألفوا بها كتبا أدبية وعلمية، وبذلك هيأوا الوسائل اللازمة لجعلها لغة علم وأدب، ولغة تعليم وعبادة. كما أنهم عكفوا على نشر أبحاث تاريخية قومية، تثير في نفوس الناشئة شعور الاعتزاز بمآثر الأجداد. إن هذه الجهود المتنوعة نشرت بين الناس فكرة "القومية الصربية" ودفعتهم إلى القيام بثورات استقلالية. وهذه الثورات ساعدت على تكوين الدولة الصربية».

قريباً من ثورة صربيا ثورة اليونان. اليونان أعلنت ثورتها ثورة قومية، ولم تكن ثورتها بدافع صليبي أو تضامن صليبي مع شعوب أوروبا. لقد لعبت مسيحية اليونان دوراً في تحديد الطابع المميز لقومية الأَرْوَامْ، فلم يكن هناك رابط عقدي يربطهم مع الأتراك، على عكس القوميات الأخرى في الخلافة العثمانية كالعرب أو الأكراد. فكان من السهل تأييد ثورتهم، وخلق الأجواء لها من القوى المعادية للدولة العثمانية كروسيا، وفرنسا، وإنكلترا، وغيرهم من الدول المعادية للسلطنة. وقد رفض الأَرْوَامْ أي انتداب وسلطة لأي دولة أو قوى عليهم سوى الدولة العثمانية، التي كانت تمثل بالنسبة لهم القومية التركية، أو أي قومية أوروبية أخرى، وإن جمعهم الدين الواحد، فدل هذا بلا شك أن ثورتهم كالثورة الصربية، والبلغارية، والأرمينية... كانت بحافز قومي؛ ولذلك أطلق على القرن التاسع عشر قرن القوميات، أو النزعة القومية الداعية للاستقلال. إنه لا شك في أن عوامل تحديد هذه القومية كثيرة، ودواعي الثورة كثيرة.

فالسؤال: لماذا انفجرت هذه الفتن في القرن التاسع عشر، عصر ضعف وتراجع الدولة العثمانية؟ لعلي أرجع تلك الثورات لسببين، والله أعلم:

أولاً: إن المدقق في التاريخ العثماني يجد

الاستقرار في كافة أرجاء الدولة عند التطبيق الصحيح لنظام الذمة، وتقيدها بالعدل بين الرعية، حسب أحكام الشريعة الإسلامية. عندما ظهر الضعف والفساد في الدولة، بما فيها الابتعاد عن التطبيق الصحيح للشريعة، تراكم الظلم نحو كثير من القوميات التي شكلت الدولة. فمثلا الظلم الحاصل من تصرفات الجيش الانكشاري، وعصيانه لأوامر السلطان، وخروجه عن نطاق الشريعة، بعد ما كان أداةً وجزءاً من الجيش العثماني العظيم صاحب الفتوحات. يقول الأمير شكِيْب أَرْسْلاَنْ عنهم في تاريخ الدولة العثمانية «...وكانت الدولة تعاني من ثورات الانكشارية ما لا يوصف، وكم من مرة كانت ثوراتهم سبباً في الانهزام أمام الأعداء، وكم استبدوا بالأهالي، وعاثوا في البلاد، فكانت الصدور ملأى من أعمالهم، وكانت الأمة ترجو الخلاص منهم...» لقد كان من ضمن إصلاحات السلطان محمود الثاني إعادة تأهيل وتدريب هذا الجيش، وتجديد تنظيمه وأدائه. فتآمر الانكشارية على السلطان، فتصدى لهم السلطان، ورماهم بالنيران والمدافع، وقضى على ثورتهم. ثم نشر السلطان بياناً قال فيه: «إنه من المعلوم بين المسلمين أن السلطنة العثمانية إنما رقت واستولت على الشرق والغرب بقوة الدين الإسلامي، وأن نظام الانكشارية كان في أول الأمر، يوم كانت الطاعة شعاره، حصناً حصيناً للدولة، وطالما كان النصر معقوداً برايات هذا النظام، ولكن في العصر الأخير، فشا في الانكشارية روح التمرد، وصاروا بلاء على الدولة، وصاروا لا يلقون الأعداء إلا انهزموا، فأجمعت الأمة على إيجاب، التخلص من هذا النظام البالي، وعلى تنظيم جيش جديد يمكننا أن نصادم به أعداء الدين...».

من هنا نرى الترابط بين التطبيق السليم العملي للإسلام، وبين الواقع المستقر الذي عايشته الدولة العثمانية، حتى ضرب المثل بالدولة العثمانية في حماية ورعاية سائر الطوائف المضطهدة في أوروبا. يذكر هذا الترابط السلطان عبد الحميد في خطبة افتتاح مجلس المبعوثين فيقول: «إنني أبث الممنونية بافتتاح المجلس العمومي، الذي اجتمع للمرة الأولى في دولتنا العلية، وجميعكم تعلمون أن ترقي شوكة واقتدار الدول والملل إنما هو قائم بواسطة العدالة، حتى إن ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية، وقدرتها في أوائل ظهورها، كان من مراعاة العدل في أمر الحكومة، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف التبعة. وقد عرف الناس أجمع تلك المساعدات التي أبداها أحد أجدادنا العظام، المرحوم السلطان محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب، وكافة أسلافنا العظام أيضا قد سلكوا على هذا الأثر، فلم يقع في هذا المطلب خلل بوقت من الأوقات. وغير منكر أن المحافظة منذ ستمائة عام على ألسنة صنوف تبعتنا ومليتهم ومذاهبهم النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة. والحاصل... بينما كانت ثروة الدولة والملة وسعادتها صاعدتين في درجة الرقي في تلك الأعصار والأزمان، بظل حماية العدالة ووقاية القوانين، أخذنا بالانحطاط تدريجياً بسبب اضطراب في فهم الشرع الشريف، والقوانين الموضوعة، فتبدلت تلك القوة إلى ضعف. وقصارى الأمر أن المرحوم والدي الأكبر السلطان محمود خان أزال عدم الانتظام الذي هو العلة الكبرى للانحطاط، والذي طرأ منذ عصور على دولتنا، ورفع من

الوجود عائلة الانكشارية المتولدة منه، وقلع شوك الفساد والاحتلال، الذي مزق جسم الدولة والملة، وكان هو السابق لفتح باب إدخال مدنية أوروبا الحاضرة إلى ملكنا».

ثانياً: ولعل هذا السبب هو من أكبر أسباب إثارة النزعة الاستقلالية عند القوميات في السلطنة، ونقصد بهذا دور الدول الاستعمارية وطمعها في إضعاف الدولة من الداخل، كفرنسا، وروسيا، وإنكلترا. لنأخذ مثالا على ذلك ثورة الأرمن. عاش الأرمن في الدولة العثمانية مكرمين، وقد كانوا مقربين للحكم في الدولة. يذكر الأمير شكيب أرسلان في "تاريخ الدولة العثمانية" «فلهذا كان ادعاؤهم الاستقلال غير وارد، ولا من جهة، وكان بينه وبين إمكانه فعلاً بونٌ شاسع، وهذا ما كان يدركه قدماء الأرمن، فلذلك كانوا قد وطنوا أنفسهم على الارتباط بالدولة العثمانية، التي كانت تعتمد عليهم، وتستخدم كثيراً منهم حتى في المناصب العالية، وفي ظلها نما عددهم، وازدادت ثروتهم، ولما كانوا هم أهل جد ونشاط، وإقدام على الأعمال، كان كثير من مرافق السلطنة في أيديهم، وأينما توجه الإنسان في البلاد العثمانية، كان يجد على الأرمن آثار النعم. وكانت الدولة تثق بهم، وكان الأتراك يخلطونهم بأنفسهم، ويسمون الأرمن الملة الصادقة. واستمرت الحال على هذا المنوال إلى أن بدأ الضعف في السلطنة العثمانية...».

استخدمت الدول الاستعمارية الضعف في السلطنة وسيلة للتدخل بشؤون الدولة، باسم الاستقلال وتقرير المصير للقوميات المختلفة في السلطنة. ففتح الأوروبيون مدارس وملاجئ باسم العمل الخيري في مناطق الأرمن، وقاموا بعمل تبشيري، و خرجت هذه المدارس من الأرمن أناساً يحقدون على الدولة وعلى المسلمين، وزرعت فيهم نزعة قومية استقلالية تماما كما فعلت نفس المدارس التبشيرية مع نصارى العرب. يقول الأمير شكِيْب أَرْسْلاَنْ «فأهم عوامل الشقاق الذي وقع بين الأرمن وبين سائر الرعية العثمانية كان هو التعليم في مدارس الأوروبيين، فأصبح غير ممكن تساكن الجنسين بعضهم مع بعض...».

فلما زادت أزمة الأرمن، أصبحت الدول الأوروبية تتدخل باسم رفع المظالم عن الأرمن، وفرض ما يسمى إصلاحات على الدولة العثمانية. فلما رفض السلطان عبد الحميد هذا التدخل، قامت الدول الاستعمارية بتهديده، وممارسة المزيد من الضغط، والاستعانة بمجموعة من الشخصيات، ومنهم جماعات من القوميين الأتراك والعرب المقيمين داخل السلطنة وخارجها، في محاولة لتشويش سمعته، ووصفه بالسلطان "الأحمر" المتعطش للدماء، والقابع في استبداد رعيته.

أما النزعة القومية عند القوميات الأخرى ذات الأغلبية الإسلامية، فكان من الصعب إثارتهم على الدولة العثمانية لما يجمعهم مع الأتراك من دين واحد، أي دين الإسلام. فكانت ولادة النزعة القومية عند المسلمين خطة مدروسة من قبل الدول الاستعمارية. وقد نشأت فكرة القومية عند الترك، ثم تعاقب الحس القومي عند الشعوب الإسلامية كالعرب، والأرناؤوط، والأكراد. والدعم الخارجي لهذه المجموعات، وانتشار الفكر القومي، كانتا النواة الأولى لتشكيل الدول الوطنية على أنقاض الدولة العثمانية ❑

[يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق].

ذكر سيد قطب في تفسيره هذه الآيات: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ يشير إلى المقتضى الضمني للعبارة. فصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها، وهو ليس بخالقها؛ لأنه لم ينشئ مادتها، ولم يزد على تشكيلها وتركيبها، فكيف بالمنشئ الموجد الخالق؟.. فهو مكشوف الكنه والوصف والسر لخالقه العليم بمصدره ومنشئه وحاله ومصيره...

﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ وهكذا يجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله، تمهيداً ليوم الحساب الذي ينكره ويجحده.

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ... الوريد الذي يجري فيه دمه... وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة، لابد يرتعش ويحاسب، ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها، ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها، بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول، وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم، وخشية دائمة، ويقظة لا تغفل عن المحاسبة.

ولكن القرآن يستطرد في إحكام الرقابة. فإذا الإنسان يعيش، ويتحرك، وينام، ويأكل، ويشرب، ويتحدث، ويصمت، ويقطع الرحلة كلها بين ملكين موكلين به، عن اليمين وعن الشمال، يتلقيان منه كل كلمة، وكل حركة، ويسجلانها فور وقوعها.

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ أي رقيب حاضر... ونحن لا ندري كيف يسجلان، ولا داعي للتخيلات التي لا تقوم على أساس، فموقفنا بإزاء هذه الغيبيات أن نتلقاها كما هي، ونؤمن بمدلولها دون البحث في كيفيتها، التي لا تفيدنا معرفتها في شيء...

حسبنا أن نعيش في ظلال هذه الحقيقة المصورة، وأن نستشعر، ونحن نهمٌّ بأية حركة، وبأية كلمة أن عن يميننا وعن شمالنا من يسجل علينا الكلمة والحركة، لتكون في سجل حسابنا، بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير... حسبنا أن نعيش في ظل هذه الحقيقة الرهيبة، وهي حقيقة لا مفر من وجودها، وقد نبأنا الله بها لنحسب حسابها، لا لننفق الجهد عبثاً في معرفة كيفيتها!

والذين انتفعوا بهذا القرآن، وبتوجيهات رسول الله ﷺ الخاصة بحقائق القرآن، كان هذا سبيلهم: أن يشعروا، وأن يعملوا وفق ما شعروا... روى الإمام أحمد عن بلال بن الحارث

(التتمة ص ١٦)

التعامل مع قضايا المسلمين باعتبارهم أمة واحدة واجب حتمي

سَعِيْد الأَسْعَدْ – بيت المقدس

إن عراقة هذه الأمة تمتد ردحاً طويلاً من الزمن، نقرأ من خلاله تاريخنا بتراثه الفكري والتشريعي، حيث عاشت حياة طيبة عزيزة مجيدة، وحيث كانت القضايا التي تعرتض طريقها كبيرة وكثيرة، وكان الكثير منها يهدد بقاءها بتهديد تراثها الفكري أساس حياتها، أو يهدد كيانها السياسي حامي تراثها. فقد تعرضت الفكرة الإسلامية في نفوس المسلمين للهدم وخصوصاً بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية، وجراء توسع رقعة الدولة واختلاط المسلمين بالشعوب والأمم والعقائد الأخرى، إضافة إلى حملات التشكيك والزندقة والدس، ما أثقل كاهل الدولة والأمة، إلا أنها سرعان ما تخطت مشكلاتها؛ وذلك لاستقامة طريقتها في التفكير، وتمكن الفكرة وحججها من عقول المسلمين، وتغلغلها في نفوسهم، ولكونهم يصدرون عن كونهم أمة إسلامية واحدة في دولة واحدة، لا بأي اعتبار آخر؛ وذلك لإدراكهم خطأ وخطر الانطلاق في حل مشكلاتهم من منطلقات وطنية، أو قومية، أو مذهبية، أو قطرية، أو إقليمية، فهذه المنطلقات تودي وتحطم حياة أي أمة، وكفيلة بأن تحولها من أمة خير إلى رغاء كرغاء السيل، تنزع منها علو قدرها ومهابة عدوها لتصبح ذيل الأمم، وتجعلها مغلوبة على أمرها، بطن الأرض لها خير من ظهرها.

نعم، كيف لا ونحن قوم لا توسط بيننا، لنا الصدر دون العالمين أو القبر، كيف لا والدولة الإسلامية حامية تراثها الفكري، بل هو قضيتها التي تحملها رسالةً للعالم مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة ٣٣].

أضف إلى ذلك تعرض كيان الأمة السياسي، كأمة واحدة ودولة واحدة، إلى إشكالات بل ومعضلات عظيمة، ولولا رحمة الله لكادت تودي بحياتها آنذاك، والذي أوجب الخروج من تلك المصائب هو رحمة الله وتوفيقه باستقامة الأمة والدولة. فقد تعرضت لاختلافات على الخلافة والأحقية في استلامها، فكانت هناك اختلافات وفتن في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما، واختلافات زمن معاوية، وبعدهم اختلافات بين بني أمية وبني العباس، وغير ذلك من الاختلافات التي كانت تهدد بقاء الكيان السياسي، إلا أن الاختلاف كان في محيط أمر جوهري وخط أحمر، لم يختلفوا عليه وهو أن السيادة للشرع، ووحدة الدولة الإسلامية، وضرورة الجهاد واستمراره لإظهار الدين، فهذه الأمور كلها أمور تفدى بالأرواح والمهج. أضف إلى كل ذلك ما تعرضت له الأمة وكيانها وعقيدتها

إلى حملات عسكرية صليبية وتترية. ولكن على الرغم من كل هذا فإن نظرة بسيطة إلى تاريخ هذه الأمة والدولة الطويل، والذي امتد زهاء ثلاثة عشر قرناً، يري كيف كانت هذه المعضلات كأسهل وأسرع من ذوبان الجليد أمام النار؛ وذلك لسبب بسيط وهو أننا كنا نصدر كأمة ودولة واحدة أصلب من الصلابة، وأقوى من أي تحديات.

إن الحقيقة التي ملأت سمع وبصر الدنيا هي أن أمة الإسلام بدولتها قد تعرضت إلى معضلات لا تذكر أمام هامشها قضايا المسلمين اليوم كالغزو الفكري، والاقتصادي، والعسكري، والجوع، والفقر، والظلم، والحدود. وهذا يضعنا أمام حقيقة ثانية أخرى، وهي أن الضعف الفكري والسياسي أمام الغزوات الفكرية والتبشيرية والثقافية التي تعرضت لها الأمة كان هو السر الوحيد الذي أطاح بها وبكيانها ودولتها ووحدتها، مما سبب سهولة التطاول عليها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، مما يضعنا أمام ثالثة الحقائق، وهي إنما أريد لنا، لكي يحكم الطوق علينا، أن ننظر إلى قضايانا من منظور وطني أو قومي؛ كي لا تقوم لنا قائمة، ولا تحل لنا قضية.

إن القضايا الحالية للمسلمين كقضايا الاحتلال العسكري في فلسطين، والعراق، والشيشان، قد تعامل المسلمون من قبل مع أعظم وأعقد منها. فقد سيرت جيوش لتقصم ظهر الروم والفرس؛ لتصبح أمة الإسلام ودولتها الأولى وصاحبة الصدارة في العالم؛ وعليه فإن حجم الآلة العسكرية وبعد الشقة وطول الجولة التي بذلها المسلمون آنذاك لا يحتاجون إلى عشر معشارها اليوم ليحلوا تلك القضايا الداخلية. ويظهر بجلاء أنهم اليوم لا يقوون على حسم أي قضية من قضاياهم الجزئية متفرقين، ومن خلال النظرات القاصرة التي تنبع من منطلقات وطنية، وقومية، ومذهبية. فبغير كيان يوحدهم، مهما طال الزمن، ومهما امتلكوا من سلاح وعتاد، ومهما نادوا واحتكموا لمجلس الأمن، أمن الدول الكافرة المتآمرة، فبغير كيان يوحدهم، لا ريح لهم ولا خلاص لهم.

إن العقلية التي يجب أن يفكر بها حملة لواء التغيير بخاصة، والمسلمون بعامة، هي التي تقوم على تحديد قضاياهم، والنظر إليها باعتبار عقائدي، ومن منطلق أنهم أمة واحدة من دون الناس، وإن غاية دهاء الكفر ومكره أن ننظر إلى قضايانا من منطلقات مُمَزِقة: وطنية، وقومية، وطائفية، وعصبية جاهلية، كيف لا؟ وقد كانت هذه هي السبل التي جعلت الكافر قادراً على القضاء على أمتنا ودولتنا، وإشعال الحرائق والفتن بيننا، وذلك بعد إيجاد الفراغ الفكري بين أبناء الأمة، وخصوصاً على صعيد الروابط، والنظرة الوحدوية العقائدية، فأبدلوا رابطة العقيدة الإسلامية، والنظرة الوحدوية الناتجة عنها بالمذهبية والوطنية والقومية والطائفية. وقد شكل هذا أعظم معول هدم صدع صخرة الأمة وخيريتها، فأذهب ريحها، ولا أدل على ذلك من اعتبار أن مصلحة الوطن فوق الجميع، وتوحدنا الآلام والآمال، وهذا أردني وذاك فلسطيني، وهذا كويتي عدو للعراقي، وهذا سوداني وذاك مصري أو سعودي، وأعان الله أهل فلسطين على طرد اليهود والقضاء عليهم، وتلك قضية سودانية - سودانية، وأكثر من ذلك تحولت قضية فلسطين إلى فلسطينات، والسودان إلى سودانين أو ثلاثة، والعراق إلى كردي وشيعي وسني، وغير ذلك من التفريقات والاستهانات التي أوجدها قبول المسلمين بالنظرة التشرذمية

إلى قضاياهم ومصائرهم، بينما في المقابل فإن التعامل مع قضايا المسلمين من المنطلق العقائدي يجعل أمة الإسلام، بقضها وقضيضها، وبخَيلها ورَجِلها، مسؤولة عن حل أي قضية من هذه القضايا، مما يسهل حلها، ويسرع حسمها، وخصوصاً القضايا العسكرية منها، والتي تحتاج إلى قوة من جيوش المسلمين، ولا أقول كلها، مما يدلل بوضوح تام أنه لا يصح ولا يجوز البتة أن يخرج علينا أحد من أبناء المسلمين، أو حركاتهم، أو قادتهم، ليقول إن الدول العربية مطالبة بمقاطعة العدو، وعدم التطبيع معه، وطرد سفراء العدو، فحسب، وأن يدعمونا مالياً ومعنوياً فحسب، أو لا يبيعوا لأميركا في ما أريد لهم نفطاً؛ ليقعوا بنظرتهم في ما أريد لهم، من اعتبار قضاياهم بالاعتبار الوطني التفريقي؛ ليقعوا في شر شرك أريد لهم أن يقعوا فيه؛ ليستجدوا مجلس الأمن، أمن أميركا النصرانية الكافرة، وليظل المسلمون تحت رحمتهم، بل تحت أقدامهم. إن مثل هذه النظرة تجعل مسؤولاً في إحدى الحركات الإسلامية يخرج علينا ويقول: إنني أهنئ الرئيس بالفوز بالانتخابات، مع أنه رئيس يحكم بالعلمانية، ويسعى لتصفية قضية فلسطين، على أساس من التفريط والسعي لإنهاء عذابات يهود. ألا يتقي الله هذا الشيخ. إنه بنظرته هذه، وبالاعتبار الوطني لا العقائدي، قد سدر في غي وإثم عظيم. ألا يعي أنه خطابه وغيره يجب أن يكون متجهاً نحو القبلة، ونحو أمته، يخاطبها بأن تقوم لتتوحد على رجل واحد يحكمها بما أنزل الله، ويقودها لتحريرها من ربقة الكافر المستعمر، ومن مستنقعات الذل والعار، بعد أن تطيح برأس البلاء حكامها، الحراس على مزقتها، القابضين على أنفاس جيوشها، القائمين على جراحاتها وآلامها.

نعم، إن المنطلقات القومية، والمذهبية، والطائفية، تعمي الأبصار والبصائر، ويجب أن تتوجه الأنظار إلى الجهة الواعية المخلصة، التي تدعو إلى وحدة الأمة على عقيدتها وشريعتها ودولتها، لتكون أملاً مُرجّى، ومحل تأييد ونصرة وبذل المعونة لها.

اللهم رد المسلمين إلى صواب نظرتهم، وردهم إلى دينك رداً جميلاً، وإلى وحدتهم ودولتهم بكرمك عاجلاً. قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] ❑

(تتمة مع القرآن الكريم)

المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»... قال فكان عَلْقَمَة يقول: «كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث» وحكي عن الإمام أحمد أنه كان في سكرات الموت يئن، فسمع أن الأنين يكتب، فسكت حتى فاضت روحه، رضوان الله عليه.

وهكذا كان أولئك الرجال يتلقون هذه الحقيقة فيعيشون بها في يقين ❑

صلاة على الطريقة الأميركية

تمت صلاة جمعة مبرمجة على الطريقة الأميركية، وبإشراف الأجهزة الأميركية، وفي رسالة موجهة للمسلمين جميعاً، وفي تحدٍّ سافر للإسلام والمسلمين، رتبت السلطات الأميركية مسرح المهزلة في ٢٠٠٥/٣/١٨م وكلفت امرأة بإمامة الرجال في كنيسة سينود هاوس في مانهاتن، بعدما رفضت أماكن أخرى استضافة الحدث لتلقيها تهديدات. وقالت هذه المرأة التي تدعى (أمينة ودود): «أريد أن أشجع قلوب المسلمين على الإيمان بأنهم متساوون» وإنها تريد إزالة القيود المصطنعة والمزعجة التي تستهدف المرأة المسلمة، وحضر الصلاة قرابة ٥٠ شخصاً بين رجل وامرأة، ولم تذكر رويترز كم كان عدد الأفراد التابعين للاستخبارات الأميركية ورجال السلطة الذين شاركوا في الصلاة «بخشوع شديد». وذكرت الأنباء أن المنظمة التي دعت لهذه الصلاة البدعة هي منظمة تدعى «جولة حرية المرأة المسلمة» ويبدو أن هذا الاسم يشبه الأسماء الكثيرة التي تظهر على صفحات الإنترنت، دون أن يعرف الناس حقيقة وجودها من عدمه ❑

التدريب على الإسلام!

تستعد «مؤسسة الثقافة الإسلامية» وهي مؤسسة أهلية في إسبانيا، للبدء في دروس تأهيل لأساتذة المرحلة الابتدائية والثانوية، بهدف نشر الإسلام «في صورته الصحيحة» وكان اسم هذه المؤسسة من قبل «المعهد الغربي للثقافة الإسلامية» وتنوي هذه المؤسسة «المساهمة في القضاء على الأفكار المبتذلة، والمزاعم الباطلة، وتشجيع الطلاب على التحلي بقيم احترام الغير والتسامح، والعمل على إطلاق الحوار بين الثقافات المختلفة». ومن الموضوعات التي سوف يشملها التدريب: الإيمان، والحياة، والفن، وكرة القدم، والبيئة، والإرث الثقافي، وحاضر الدين ومستقبله، ورفض التمييز وكره الأجانب! فهل يكون هذا الجهد من ضمن غسل الأدمغة، والتبشير بدين على الطريقة الأميركية أو الإسبانية؟ ❑

السفارات «والحرية»

تبنّى الكونغرس الأميركي معركة جورج بوش لنشر الديمقراطية في أنحاء العالم، عبر مشروع قانون يطالب بخطة عمل محددة في هذا الاتجاه، يفترض تحول سفارات الولايات المتحدة في الدول غير الديمقراطية إلى قلاع للحرية. وقال النائب الجمهوري جون ماكين، الذي ترشح للرئاسة عام ٢٠٠٢م، أن تقدم «الديمقراطية والحرية لا ينفصل عن أمن الولايات المتحدة على المدى الطويل» ورحب بالتطورات الأخيرة في أوكرانيا ولبنان، وحصل هذا التصريح قبل ما حصل في قرغيزيا؛ لذلك لم يذكرها في سياق كلامه. وينص مشروع القانون الذي يحمل عنوان «تقدم الديمقراطية» ويدافع عنه أعضاء جمهوريون وديمقراطيون في مجلسي النواب والشيوخ، على «أن تسعى الدبلوماسية الأميركية إلى إنهاء كل أشكال الحكومات الديكتاتورية أو غير الديمقراطية» ❑

تدريس الديمقراطية!

وافقت الحكومة البحرينية في اجتماعها يوم ٣/١٣ على اقتراح نيابي يقضي بتدريس مادة الديمقراطية وحقوق الإنسان، في المرحلتين الإعدادية والثانوية، بصفة إلزامية. وطلب مجلس الوزراء الذي عقد برئاسة الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتطبيق الاقتراح، وكلف وزير التربية بأن يهتم بهذا الموضوع عند وضع خطط لتطوير المناهج الدراسية ❑

الإرهاب الأميركي في الكنيسة

ذكرت رويترز في ٣/١٣ أن مسلحاً (إرهابياً حسب تصنيف الأميركان لكل من يقتل مدنيين، لكنهم لم يقولوا عنه بأنه إرهابي) أطلق النار على مشاركين في تجمع ديني مسيحي، في أحد فنادق بروكفيلد في ولاية ويسكونسن شمال الولايات المتحدة، فقتل سبعة أشخاص قبل أن يقتل نفسه، وأصيب أربعة أشخاص بجروح. وقالت الشرطة إنها لا تعرف دوافع القاتل، وأفاد شهود أن المهاجم الذي ينتمي إلى «كنيسة الرب الحية» وهي كنيسة إنجيلية مسيحية متشددة، وكان أصغر الضحايا في الخامسة عشرة من عمره، وأكبرهم في الثانية والسبعين، والمهاجم ليس مراهقاً ولا مجنوناً، بل هو بكامل قواه العقلية، وعمره ٥٤ عاماً ❑

تحسين صورة أميركا

ينوي الرئيس الأميركي بوش ترشيح كارين هيوز، وهي واحدة من أقرب مستشاريه، لقيادة حملة تستهدف إصلاح صورة الولايات المتحدة في الخارج، ونشرت صحيفة نيويورك تايمز أن هذه المرأة سوف تشغل منصب وكيل وزارة الخارجية والعلاقات العامة، وهو منصب يتطلب موافقة مجلس الشيوخ، وهي ستروّج لحملة بوش من أجل نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط ❑

أميركا والفتنة في العراق

اتهم المرجع الشيعي رئيس مجلس الإفتاء (أحمد الحسني البغدادي) السفير الأميركي هناك جون نيغروبونتي بقيادة «مؤامرة كبيرة لإشعال نار الفتنة الطائفية في البلاد وإشغال الناس بالمساجلات الجانبية» وأضاف المرجع الشيعي: «إن التفجير الأخير الذي استهدف أحد مجالس العزاء في مدينة الموصل يأتي في إطار حملة واسعة لاتهام السنة بالعمليات التي تستهدف الشيعة، بهدف إشعال الفتنة المذهبية، والحرب الأهلية، وإطالة عمر الاحتلال» ❑

ديمقراطيتهم مزيفة

بعد أن أفرجت السلطات البريطانية عن بعض الموقوفين من المسلمين المقيمين في بريطانيا، فرضت وزارة الداخلية هناك شروطاً قاسية عليهم لا تصدق مثل: وضع المفرج عنهم جهازاً إلكترونياً ينبّه السلطات إذا غادروا منازلهم، ومنعهم من لقاء أحد خارج منازلهم دون إذن مسبق، وإذا طلب الإذن فعليه أن يزود السلطات باسم الشخص وعنوانه وتاريخ ميلاده وصورته، واشتكى بعض محامي الدفاع من ذلك ساخرين، بأن هؤلاء المفرج عنهم أصبحوا مضطرين لأخذ موافقة وزارة الداخلية إذا أرادوا أن يطلبوا (البيتزا) إلى منازلهم، أو إذا أرداوا قصّ شعورهم، أو شراء جريدة، كما أن من ضمن الشروط عدم استخدام هواتف جوالة، أو أجهزة كمبيوتر موصولة بالإنترنت، لكن يسمح لهم باستخدام هاتف محدد يمكن مراقبته. هذه هي حقوق الإنسان في بريطانيا! ❑

وحشية النظام في تركيا

أظهرت مشاهد تلفزيونية بثت عبر أوروبا رجال شرطة أتراك، وهم يستخدمون الغاز المسيل للدموع لتفريق مجموعة من المتظاهرات اللواتي احتشدن في منطقة بايزيد في اسطنبول. وكانت الصورة الأكثر إثارة للصدمة هي صورة رجل شرطة وهو يركل امرأة في رأسها فيما كانت ملقاة على الأرض. وأثارت تلك الإجراءات القاسية ضد المتظاهرات المسلمات موجة من الانتقادات السياسية داخل الاتحاد الأوروبي، وأثارت قلقه من أن تركيا لا تطبق الإصلاحات التي أعلنتها في مجال حقوق الإنسان، والتي تتزلف بها لدخول ذلك الاتحاد، وأسفرت الاشتباكات مع النسوة من قبل أشاوس النظام عن إصابة العديد منهن بجروح ❑

مناورات أميركية إسرائيلية

جرت في ٣/١١ مناورات مشتركة بين الجيش الأميركي والجيش الإسرائيلي، في صحراء النقب في فلسطين المحتلة، شملت التدريب على تقنيات دفاعية جديدة، وتمارين ضد الهجمات الصاروخية، وسوف تتكرر هذه التدريبات حتى تشرين الثاني المقبل. علماً أن المرة الأخيرة التي جرت فيها دورة مماثلة كانت عام ٢٠٠١م، قبل التحضير لحرب العراق. كما أشرفت فرق عسكرية إسرائيلية على تدريب وحدات أميركية خاصة، بعد الحرب على العراق، في قاعدة (آدم) في صحراء النقب. وجرى التنسيق في مهمات إقامة حواجز، ومكافحة ما يسمى «الإرهاب» وتفكيك الألغام، ورصد العمليات الاستشهادية. ونقلت وكالة أسوشيتيدبرس، في شباط الماضي، عن مصادر في البنتاغون، أن التدريبات كانت مفيدة إلى حدٍ بعيد في عملية ضرب الفلوجة في العراق ❑

البطريرك إيرينيوس

استدعت الحكومة الأردنية بطريرك الروم الأرثوذكس في القدس، وبحثت معه قضية بيع أملاك في القدس المحتلة تابعة للكنيسة، لمستثمرين يعلمون لحساب يهود، يقيمون خارج فلسطين المحتلة، وطالبت سلطة أبو مازن برحيل البطريرك، ويشرف الأردن على إدارة المعابد المسيحية في

القدس الشرقية، وتتدرج صفقة البيع التي مارسها البطريرك ضمن خطة تمويد القدس، ويذكر أن هذا البطريرك متزوج من يهودية، وذكرت بعض الأنباء أنه ربما تهوّد وأصبح من اليهود ❑

مؤتمر ضد الاحتلال

عقد في برلين في ٣/١٢ مؤتمراً بحضور حوالي مئتي شخصية عراقية ممن يعارضون احتلال العراق؛ للمطالبة برحيل قوات الاحتلال. وشارك في المؤتمر مجموعات تنادي بالسلم، إضافة إلى الحزب الشيوعي الألماني، وقال أحد المشاركين في المؤتمر: نطالب برحيل القوات الأميركية من العراق؛ لأنها تسببت في فوضى كبيرة. إنهم يدمرون العراق ويدمرون ثروته النفطية، ويريدون تغيير ثقافته ❑

أميركا وترتيب لبنان

ذكر المحلل السياسي إبراهيم الأمين في صحيفة السفير في ٣/٢١ خبراً نقله عن شخصية لبنانية بارزة مقيمة في الخارج أن «جدول الاهتمامات الأميركية بلبنان متنوع، لكن الأساس فيه ليس الرهان على أشخاص أو مواقع بقدر ما أن التركيز منصب على مؤسسات معينة، وأن الجهد المركزي الآن محوره مؤسسة الجيش اللبناني. وتنقل الشخصية عن مسؤولين أميركيين وأوروبيين قولهم: إن الإمساك بالمؤسسة العسكرية من شأنه إفساح المجال أمام عملية سلسة؛ لانتقال السلطة بكافة مؤسساتها من عهد الوصاية السورية إلى العهد الجديد [ربما يقصد الوصاية الأميركية المباشرة]. وإن الولايات المتحدة مستعدة لوضع برنامج دعم عسكري يجعل الجيش قوة ردعية أكبر، في حال تبلورت صورة الموقف السياسي لهذه المؤسسة على شكل الدور الجديد، وينحصر هذا البرنامج في مهمة واحدة: تنفيذ مشروع عزل لبنان عن صراع المنطقة» ❑

القواعد العسكرية وأفغانستان

خصصت الولايات المتحدة أكثر من ثمانين مليون دولار لتحديث مطاري قندهار وبغرام، وتستخدم القوات الأميركية الغازية مطار بغرام قاعدة عسكرية أساسية منذ نجاحها في إسقاط طالبان. وقال أحد الجنرالات الأميركيين إن هناك أكثر من ١٥٠ طائرة، في قاعدتي بغرام وقندهار، تابعة للقوات الجوية والجيش والبحرية، وإن المطارين يشهدان أكثر من أربعة آلاف عملية إقلاع وهبوط ❑

مصر والانتخابات الرئاسية

أكد محمد مهدي عاكف أن لا مشكلة بين الإخوان والحزب الوطني الحاكم، أو الحكومة، أو الرئيس مبارك، «باستثناء ما يتعلق بالإصلاح السياسي، وأن جماعة الإخوان مستعدة لدعم ترشيح الرئيس مبارك لولاية جديدة، أو نجله السيد جمال مبارك، إذا كان هدفهما تحقيق إصلاح سياسي حقيقي» ❑

حركة مش كفاية

بعد أن رفعت «الحركة المصرية من أجل التغيير» شعار «كفاية» أطلق صحفي مصري حركة جديدة تحمل كذلك شعار «كفاية» وطالبت هذه الحركة «شرفاء مصر بدعم بقاء الرئيس مبارك رئيساً للجمهورية، ومواجهة المؤامرات والخيانة، والذين قبضوا ثمن بيع مصر في المزاد العلني» عجباً لهذا وأمثاله، كيف يعتبرون تغيير رئيس مضى على وجوده في الحكم العرفي وقانون الطوارئ، أكثر من ٢٢ عاماً، خيانة، وبيع لمصر في المزاد!! ❑

بلير والغزو الخاطئ

ذكرت مستشارة قانونية لحكومة طوني بلير، في كتاب استقالتها الذي وجهته في آذار ٢٠٠٣م، أن الغزو الأميركي- البريطاني للعراق كان عدواناً، وسمح قانون الإعلام الجديد بنشر فحوى كتاب استقالتها القديم، والذي جاء فيه «إن التدخل العسكري في العراق يشكل استخداماً غير قانوني للقوة، ويمكن اعتباره عدواناً». وشهد شاهد من أهله، إنها مستشارة للحاكم الأول في بريطانيا ❑

بوش والنفط

طلب الرئيس بوش من مستشاريه الاقتصاديين عرضاً عاجلاً للتداعيات المحتملة على الاقتصاد الأميركي نتيجة ارتفاع أسعار النفط لمستويات قياسية، حيث أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار البنزين في أميركا بمعدل حوالي ١٢ سنتاً خلال الأسبوعين الماضيين، علماً أن ارتفاع

سنت واحد يكلف المستهلكين الأميركيين ما مجموعه ١٤ بليون دولار، وتتوقع أسواق النفط استمرار الارتفاع في أسعار النفط خلال الأسابيع المقبلة، بسبب تزايد الطلب ومشاكل في الإنتاج، ما يثير مخاوف من أن يؤدي ذلك إلى تباطؤ الاقتصاد الأميركي الذي يستهلك ربع انتاج العالم من النفط ❑

الفيديرالية في العراق

قررت ٢٥ شخصية سياسية ودينية عراقية إنشاء مشروع إقليم الجنوب للمحافظات الثلاث (البصرة، والعمارة، والناصرية) وفق النظام الفيدرالي الذي حدده قانون إدارة الدولة العراقية المؤقت. وتوصلت هذه الشخصيات إلى تشكيل أمانة عامة لإقليم الجنوب، وتعيين المحافظ في البصرة أميناً عاماً للإقليم، وتم الاتفاق على إقامة نظام فيدرالي لا مركزي. بموافقة المحافظات الثلاث، وقرر الأطراف الأعضاء عرض هذا المشروع على الجمعية الوطنية المنتخبة ❑

ماضي سجون المغرب

اتهم معتقلون سياسيون سابقون أفراداً من الشرطة السرية، في مراحل الاحتقان السياسي، بأنهم كانوا بمثابة «عصابات غير قانونية» يمارسون القمع والتعذيب وإهانة الكرامة، ولم يكن يهمهم مصلحة المغاربة وكرامتهم. أشارت السيدة زهرة الخضر، والدة الشاب محمد كرينة، الذي توفي في المعتقلات المغربية عام ١٩٧٩م، إلى أنواع تعذيب تعرض لها ابنها من قبيل الصعقات الكهربائية، وعدم مراعاة وضعه الصحي المتدهور. وقالت إنه يوم قدم للمحاكمة لم يكن يقدر على الوقوف بسبب التعذيب، وإن سبب الاعتقال كان لمجرد مشاركته في تظاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني، في مناسبة ذكرى يوم الأرض، وإن اعتقاله وقتله في ظروف غامضة تسبب لها ولأفراد العائلة بأمراض مزمنة إضافة إلى التشريد. أما أسماء المعتقلات السرية التي أرعبت أهل المغرب فهي: المعتقل الرهيب «دار المقري» والمعتقل السري «درب مولاي الشريف» ومعتقل المدانين بالإعدام ويسمى «ممر الموت» ومعتقل آخر يدعى «ممر الإعدام». وروت الصحف في شهر آذار عشرات القصص المأساوية التي عاشها معتقلون سابقون، أو ذوو معتقلين قضوا في السجون الملكية ❑

العراق والشريعة

نشرت صحيفة الحياة استطلاعاً أجراه معهد أميركي، ونشرت نتائجه، أن العراقيين لا يحبذون تطبيق مبادئ الشريعة في العراق على رغم تمسكهم بالهوية الإسلامية لبلدهم. وشمل الاستطلاع ١٩٧٦ عراقياً في ١٥ محافظة «ولم يزر معدو الاستطلاع المناطق ذات الغالبية السنية في محافظتي الأنبار ونينوى، بالإضافة إلى محافظة دهوك الكردية في شمال العراق. ومن جهة أخرى أكد ٤٨% من المشاركين في الاستطلاع ضرورة أن يلعب الدين دوراً مهماً في الحكم مقابل ٤٤,٣% أكدوا ضرورة المزج بين الحكم والدين. كل هذه المعلومات على ذمة المعهد الأميركي ونشك في صحتها ومصداقية من قام بالاستطلاع ❑

تسلل من الباب الخلفي

ذكرت الصحف أن رئيس قرغيزيا المخلوع، غادر المكتب في قصره المسمى البيت الأبيض بعد أن لملم أوراقه في اللحظات الأخيرة على عجل، وتسلل من بوابة خلفية باحثاً عن طريق يوصله إلى طائرة خاصة، حلقت ساعات في الجو قبل أن تحدد وجهة سيرها. ويقال إن الانتخابات المزورة لمصلحة أكاييف وأقاربه عجلت في إزالته حيث فاز حزب الرئيس بغالبية مقاعد البرلمان، وجاء بعده في الترتيب الثاني حزب ابنة أقرب المقربين إلى الرئيس وعائلته، كما وُزعت مراكز النفوذ الاقتصادي بين أفراد الحاشية. ترى متى نرى حكامنا يلملمون أوراقهم ويهربون من الباب الخلفي على الطريقة الإسلامية، وبأيدي المسلمين وليس بمؤامرات أميركية؟ ❑

فتوى يهودية

أثارت فتوى دينية نشرتها صحيفة (معاريف) اليهودية ذكرت أن حاخامات المستوطنين أصدروها، رداً عاصفة في إسرائيل، وتفيد هذه الفتوى بإتاحة إطلاق النار على جنود غير يهود في الجيش الإسرائيلي في حال أقدموا على إخلاء المستوطنين من قطاع غزة، وكان أحد الجنود الدروز وجه سؤالاً لوزير الدفاع موافاز بهذا الخصوص: هل إذا أخليت مستوطنين يسمح بإطلاق النار علي؟ ماذا يعني هذا؟ هل عندما لا يكون فك ارتباط نكون جنوداً جيدين، وعند فك الارتباط يُسمح بإطلاق النار علينا؟ ❑

من الهداية إلى الشهادة (قصة شهيد) (٢)

هذه قصة واقعية... قصة شهيد من أوزبكستان تُروى بلسان حاله... منذ الهداية إلى الإسلام، وعمله مع حزب التحرير، إلى اعتقاله وإدخاله سجون الظالمين... سجون الطاغية كريموف حاكم أوزبكستان... ثم التعذيب المفضي إلى الاستشهاد... أسكنه الله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

و«**الوعي**» تنشر هذه القصة على صفحاتها مبيِّنة سيرة أولئك الرجال الرجال، الذين لا يخشون في الله لومة لائم، قلوبهم عامرة بالإيمان، ألسنتهم رطبة بذكر الله، تردد قول رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان جائر».

رحم الله رشيداً، ونصر إخوانه من بعده بإقامة الخلافة الراشدة، وحينها سيعلم الطاغية كريموف، وكل الطغاة الظالمين أمثاله، أي منقلب ينقلبون.

المرحلة الثالثة

كأن رشيداً قد ولد من أمه مرة أخرى. أخذ ينظر إلى العالم بنظرة أخرى. كأن حياته قد اكتسبت معنى جديداً. لقد وصل إلى ما كان يبحث عنه طوال حياته؛ ففرح، وفي الوقت نفسه أخذته المخافة في وقاية هذه النعمة الكبرى.

بدأت لرشيد حياة جديدة، وجه كل اهتماماته فيما إلى الدعوة، واجتهد كثيراً في بناء كيانه النفسي والروحي، وتأثر بقول الشيخ تقي الدين النبهاني، رحمه الله، «ولا يتأتى لحملة هذه الدعوة أن يضطلعوا بالمسؤولية، ويقوموا بالتبعات، إلا إذا غرسوا في نفوسهم التروع إلى الكمال، وكانوا ينقبون دائماً عن الحقيقة، ويقلبون دائماً في كل ما عرفوه، حتى ينقوا منه كل ما يعلق به من شيء غريب عنه، ويبعدوا عنه كل ما يكون من قربه منه احتمال أن يلصق به، حتى تظلّ الأفكار التي يحملونها نقية صافية، وصفاء الأفكار ونقاؤها هو الضمان الوحيد للنجاح، ولاستمرار النجاح". فسعى ليصبح مسلماً كاملاً، وداعياً حقيقياً في العلم والعمل. عندما كان يرى الذين يدعوهم قد تأثروا بقوله، واهتدوا بهديه، كان يحمد الله ويثني عليه، ويصلي صلاة الشكر. وإذا لم يهتدوا، فربما أرجع السبب إلى نفسه، فأكثر من الاستغفار والنوافل.

لم يشارك والدا رشيد وزوجته دِيْلاَرَاْم رشيداً في فرحه، حتى إنهم لم يبالوا بأمره ابتداء. ولكنهم طلبوا منه الرجوع عن طريقه بعد ما اشتد التضييق والتشديد عليه، وكثر القيل والقال ضد حزب التحرير، من قبل الكفار الظُلاّم، حتى قال أبوه له: «إن لم ترجع عن طريقك لن أرضى عنك». عند ذلك قال رشيد لأبيه:

- يا أبي أعلم أنك تحبني وتشفق علي، ولا تحب أن أؤذى، ولكن كيف لا تفهمني؟ أنا أرى أن أكبر ثروتي هو عمري، وأريد أن أصرفها في أهم أمر عندي، ولا أريد أن أبذرها في ما لا معنى له. وأقر أن طاعة الأبوين واجب، وأنت تعلم بالضبط أني أحبكما وأراعيكما أشد من الذين يقولون إن الحزبيين لا يراعون أبويهم. ولكن حبي لكما يزيد ثقتي بطريقي ولا ينقصها، فكيف لا أترك طريق الشيطان بعد أن وجدت طريق الرحمن؟ وهل يجوز

أن أجمد كأن يديّ مغلولتان، وإبليس يهاجمني باستمرار؟ يا أبي ليتك تعرف كم أريد أن تفخر بأني قد سلكت هذا الصراط المستقيم بدل أن تطلب مني أن أتركه. أرجو منك أن تخليني في سبيلي ولو لم تؤيدني، فكيف لا تشتاق لقاء ربك كأب شهيد وأنت مسلم؟

ولم يستطع أن يضبط نفسه فبكى، ورأى الدموع في خدي أبيه أيضاً. فلم يقل أبوه شيئاً بعد ذلك، ولم يظهر تأييده ولا إنكاره. وأصبح يسأل عن صحة ابنه وأموره خفية عنه. وقال لزوجته لا تزعجي ابنك بطلبك ترك طريقه؛ فإنه أعلم منا. وما علم رشيد تغير موقف أبيه إلا بعد اعتقاله. وأدرك أيضاً سبب امتناع زوجته عن التهجم على حزب التحرير.

إن الطاعة الاختيارية تظهر في الابتلاء، وجاءت فرصة الابتلاء لرشيد؛ لينكشف هل هو ثابت في طريقه أم مضطرب. اعتقلوه بتهمة مخالفة القانون، والعمل على قلب الحكم الموجود في الدولة. وتيقن رشيد من أن الكفر أسوأ وأغلظ من الوحشية عندما رأى معاملة شرطة الكفر بعينيه، وسمع أقوالها بأذنيه. وعذبوه عذاباً لا يخطر ببال بشر. فالظلمة كانوا يضربونه بالعصا تحت القدم، ويخزون المخرز بين الجلد والظفر كأنهم يشتغلون بتخصصهم المحبوب. وأشد ما كان يغيظهم هو ضعفهم عن مواجهة حجته.

قال له شرطي:

- خطؤك الجسيم والمميت هو اختيارك هذا الطريق، وبهذا فقد ألقيت بيدك إلى التهلكة.

فأجابه رشيد:

- اعلم أن الناس على أربع طوائف. الطائفة الأولى يعلمون ويعلمون أنهم يعلمون، فهم الذين قد اهتدوا إلى الصراط المستقيم. والطائفة الثانية يعلمون ولكنهم لا يعلمون أنهم يعلمون، أولئك رقود يجب علينا أن نوقظهم. والطائفة الثالثة لا يعلمون ويعلمون أنهم لا يعلمون، أولئك يجب علينا أن نعلمهم. والطائفة الرابعة لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، أولئك هم الجهلاء السفهاء. قال تعالى فيهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف]. فأنت من الطائفة الرابعة ولا أشك، وأنا من الطائفة الأولى. وأنت مغلوب في هذه الدنيا المحدودة التي هي دار الزوال، فضلاً عن الدار الآخرة التي لا تفنى ولا تزول، وأنا مستعد للتضحية بنفسي لربي الذي خلقني وأوجدني، وأنت تمص بظر إبليس محقراً لعرضك الإنساني.

ففضب الشرطي منه غضباً شديداً، وأخذ يضربه بالعصا ويركله. ودعا شركاءه لمساعدته في التعذيب عندما علم عدم استطاعته التأثير على رشيد، فأخذوا يضربونه بشدة ووحشية حتى غشي عليه، فأعادوه إلى غرفة السجن. ورأى في المنام رجلاً في لباس أبيض يباركه ويقول له صبراً يا بنيّ، الفرج قريب.

لقد وبّخ الشرطي نفسه لأنه سمح لرشيد أن يصفه بأنه من الطائفة الرابعة، فعزم على أن ينتقم منه، فدعا زميلاً له إلى المطعم، وشرب معه الخمر، وذكر له ما وقع بينه وبين رشيد، ثم قال:

- لن أطمئن حتى أعذبه عذاباً أليماً.
- لا تستطيع على ذلك.
- كيف لا أستطيع؟
- لأن الحق معه.
- لماذا؟
- لأننا من الطائفة الرابعة حقاً، ولا يؤثر عليه

العذاب؛ لأنه قادر على أن يضحي بنفسه في سبيل الله، والله لا يخذل من يستعين به أبداً، ونحن نخدم الشيطان، والشيطان لا يعد إلا الفقر والفحشاء. فهو يُؤْثر العذاب ولو أدى به إلى الموت على الإخبار عن صاحبه. والخلاصة يا صديقي، إني لا أريد أن أشاركك فيما تنوي القيام به كي لا يؤثر ظلمي على أولادي.

- مهلاً، مهلاً، ماذا حدث لك؟ أأنت نائم؟

- ليتني كنت نائماً، وكان ظلمي كله رؤيا.

- لا أستطيع أن أفهمك!

- ولن تستطيع أبداً؛ لأنك من تلك الطائفة الرابعة. وإني قد سئمت من الحياة مع الطائفة الرابعة، أريد أن أعيش كإنسان.

- فكر قبل أن تقول هذا، فإنهم سيسجنونك لهذا الكلام.

- صدقت، يسجنونني، وأنت أول من يفعل.

- أبك مس من الجن؟

- ليس بي، بل بك أنت مس من الجن، فإن الأولى بك أن تفكر في إصلاح مشاكلك العائلية بدل أن تشرع بإيذاء رجل، كل ذنبه أنه آمن بالله، وتدعوني إلى هذا الأمر الخبيث. تفكر قليلاً، لقد ضربته، وعذبته، وآذيته، وتحسب بذلك أنك غالب، وفي الحقيقة أنك مغلوب، فأنت غير مسجون تعيش مع أهلك، وتستريح في المطاعم، ومع ذلك في قلبك انزعاج وقلق لا يطاق. وهو مسجون، مضروب، معذب، ومع ذلك فهو مطمئن حتى يمكن أن يكون فرحان.

- لأنه فدائي (متعصب).

- إذن لماذا تتأثر بقوله يا صديقي؟ ليس خطؤك في السماح لرشيد أن يتكلم، بل هو في عدم ملاحظتك أقواله. ويجب عليك أن تميز الخطأ من الصواب في كلامه.

لقد رفع أمر رشيد إلى المحكمة، وكان يعلم أن لجنة التحكيم سيحكمون بإدانته حتماً؛ ولذلك فقد استعد لتزيين جنته التي يُقبل إليها بكل اشتياق، كما أن الكفار يسارعون في جمع الحطب لجهنمهم.

ودافع رشيد عن نفسه أمام القاضي الأصم فقال:

- إني أعتقد أن الإسلام نور والكفر ظلمة، والإسلام معرفة والكفر جهالة، والإسلام عدل والكفر ظلم، والإسلام بر والكفر شر. وأعتقد أنه لابد من غلبة النور على الظلمة، والمعرفة على الجهالة، والعدل على الظلم، والبر على الشر. وما دامت الحال على ما هي عليه فلن أرجع عن الصراع أبداً.

كان خيال رشيد في السجن مشغولاً بزوجته ديلارام، ويخاف على أولاده، فإنهم يتربون في يد أم لا تفهم أفكار زوجها واهتماماته فهماً صحيحاً، وفي ليلة الوصال الأولى حكى رشيد لزوجته عن رجل قال لأولاده إني قد أحسنت إليكم قبل ولادتكم وبعدها، فقالوا: إحسانك إلينا بعد ولادتنا واضح وضوح الشمس، ولكن كيف أحسنت إلينا قبل ولادتنا؟ فقال: قد اخترت لكم أماً صالحة. فلما سمعت ديلارام هذه الحكاية قالت له: وأنا أسعى لكي أكون كما تقول. وكان يعجب رشيد أخلاق ديلارام، وتكلمها، وتبسمها، ومعاملاتها، وكل حركاتها. وكم كان يأخذه الأسف ويتألم عندما يتذكر قولها: «أئمة المساجد وأرباب الدين يقولون إن طريقك غير صحيحة، فهل أنت أعلم منهم في دين الإسلام؟». وانحدرت الدموع على خديه عندما تذكر أولاده، واشتد اضطرابه عندما قرأ مكتوب صديقه في السجن مؤمنجان، وقد كتبه إلى أمه.

وكان مؤمنجان لا يختلط بالإخوان رغم كونه من الدينيين (الذين سجنوا لدينهم) إذا نظرت

إليه بدقة وجدت أن في قلبه هماً عظيماً، فأراد رشيد يوماً أن يفرج عن هذا الرجل فقدم إليه وقال:

- لا تضطرب كثيراً يا أخي، فإن الفرج قريب.

- ابتعد عني، فإني نمام، أتكلم بكل شيء بلا استثناء.

- ففهم رشيد معنى كلامه وقال له: سمعت أنك رجل عالم.

- لا أنا لست بعالم، بل طالب علم، لقد حصّلت القليل من العلوم الدينية.

- فعلمنا مما علمك الله، فهذا واجبك.

- نعم، ولكني جبان، لا أستطيع الامتناع عن التكلم عندهم.

- وحتى إذا كان سراً مخفياً بيني وبينك؟

- نعم.

- طيب، وهل ترضى أن نتحاور بالأقوال التي لا تضرني وإن أخبرتَهم عنها.

- أجل.

- لماذا لا تختلط بالإخوان؟

- قد قلت لك إني جبان، وأوقعت الضرر بكثير من المسلمين بلساني، وأخشى أن أكرر هذا الخطأ.

- إذن حاول أن لا تكرره.

- النصيحة سهل قولها ولكن صعب قبولها، فأنا لم أصبر على الأذى، وجبنت فأخبرتهم عن كل ما كان معلوماً لي، ورضيت أن أتعاون معهم في المستقبل.

- لماذا رضيت؟

- لقد قلت لك إني جبان.

- لا أنت لست بجبان.

- ...

- إذن لماذا تقول إنك نمام ولا تسكت.

- وإن أسكت فإخواني يفشون أسرارهم عندما يتكلمون أمامي، وأنا أخبرهم فأخسر آخرتي.

- تفكر يا أخي فأنت لا تخشى منهم، بل تخشى من الله، وتخاف على آخرتك، فحالك هذه طارئة، وستحصل على شجاعة يغبطها الجريئون.

- حقق الله قولك.

- اسأل الله أن يحققه، وادعُ الله لي أيضاً.

فأخذ مؤمنجان يبكي كالطفل.

وبعدها أصبحا يتحاوران بين الحين والحين.

وفي يوم من الأيام، قال له رشيد:

- لا أحب أئمة المساجد.

- كيف لا، إنهم إخوانك؟

- إخواني؟

- نعم إخوانك.

- فلماذا إذاً يتقولون علينا، ويقولون إن الحزبيين في الضلالة، بل هم الكفار؟ وبقولهم هذا يجعلون آباءنا وأمهاتنا وأزواجنا لا يرضون عنا.

- يبدوا أنهم يجدون أن اجتهادكم غير صحيح، وفي الماضي كان المجتهدون يختلفون في مسألة، فيقول أحدهم إن هذا الشيء مباح، ويقول الآخر في نفس الأمر بأنه حرام، وبالخلاصة فالاختلاف بين المجتهدين أمر طبيعي.

- إذن، هل قولهم بأن الحزبيين كفار طبيعي أيضاً؟

- لا، لا ليس هذا القول بطبيعي، بل هو خطأ، خطأ مميت.

- من كفّر مسلماً فهو كافر، أليس كذلك؟

- الحق معك، ولكنهم يؤمنون بالله ويصلون ويصومون. فمن هذه الجهة الأولى بنا أن نحتسب سعايتهم من الكبائر، وندعو الله أن يهديهم إلى صراطه المستقيم.

أعتذر منك، حتى إنهم لو وجدوا اجتهاد حزب التحرير غير صحيح فعليهم أن يبينوا أفكاره بين المسلمين فقط، فإني لن أرضى عن ندائهم في

تلفزيون الكفار، ووسائل إعلام الكفار، ومنابر الكفار، ضدنا، لا سيما عندما يحصّلون الأمان، أو ينتصبون لمنصب معلوم بهذه الوسيلة. فأتقي الله أن أقول بأنهم كفار، ولكني لا أحبهم، قطعاً لا أحبهم لله.

وما أتم رشيد قوله حتى أعلن أنه قد حان موعد النوم، فاضطر أن يرجع إلى مضجعه، فخجل من نفسه لأنه حسب قوله لمؤمنجان خشناً، وقدم إليه صباحاً، فسلم عليه وقال:

- ألم أثقل عليك بقولي بالأمس؟

- لا، لا بالعكس. صدقت، فأنا لم أنم إلى نصف الليل، وفكرت في أقوالك، وانتهيت بأن الحق معك. نعم النداء من منابر الكفار إلى الأفكار التي لابد أن تعرض بين المسلمين فضيحة، ولكن هناك نقطة قد لفتْ نظرك إليها، وهي أنهم لا يحسبون تلك المنابر منابر الكفار.

- هذا بعيد عن الحق، ألا ترى المنع من الصلاة والصوم والتحجب؟ وهل هناك قرينة للكفر أعظم منها؟ وليس إجازة بعض الأمور الدينية شرة البر بل شرة الأزمة السياسية وهذا واضح كل الوضوح.

- صدقت، فالكفر خطط للقضاء على المسلمين بيد المسلمين، ولم يألُ جهداً في زرع بذور العداوة بين الجماعات الإسلامية. وبعض التنازلات إن هي إلا جزءاً من هذا المشروع. ولما كان حسن الظن يجري في عروق المسلمين، فإن الكفر يحاول أن ينتفع به بقدر إمكانه، ولكن مكر الله خير من مكرهم، والعاقبة للمؤمنين. فعلينا أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا.

لقد أصبح رشيد ومؤمنجان متلازمين متقاربين، بحيث صار يقرأ كل واحد منهما للآخر ما يرده من رسائل. وفي يوم من الأيام أرسلت أم مؤمنجان لابنها رسالةً جاء فيها: «ابني قد أوذي الأنبياء والصالحون طوال التاريخ البشري. فأنت قد اتصلت بهم إن شاء الله».

وأثار رشيداً المعنى في الرسالة. وأخذ يتمنى لو أن أبويه وزوجته يفهمونه كما تفهم أم مؤمنجان ابنها. وفي يوم أعطى مؤمنجان إلى رشيد رسالته التي كتبها لأمه وزوجته، وكان فيها: «أمي، ربٌ أم وابنها يعيشان معاً، ولكن أفكارهما ومفاهيمهما مختلفة. حبيبتي، ربٌ زوجة وزوجها يعيشان معاً، ولكن آمالهما وغايتهما مختلفة. فهم يعيشون في هجر روحي، فإن كان الهجر الروحي جبلاً، فالهجر البدني ذرة من هذا الجبل. فالحمد لله الذي أعطانا سعادة مثل الجبل». فقد رشيد طمأنينته عندما قرأ هذه السطور، ودعا ربه من كل قلبه: ربي، إنك تقول إن دعاء المظلوم مستجاب، فأنا مظلوم، وتقول: إن دعاء المسافر مستجاب، فأنا مسافر، وتقول: إن دعاء طالب العلم مستجاب، فأنا طالب علم، فأعطني سعادة مثل الجبل التي تفيدها الرسالة...

فكأنما الله سبحانه قد استجاب دعاء رشيد من قبل أن يدعوه. فبعد يوم دعوه إلى غرفة الالتقاء، فتوجه نحوها بنصف من الحزن ونصف من الفرح، عندئذٍ قد وقعت حادثة كأنها معجزة، نظر رشيد إلى زوجته فإذا هي متحجبة، أوشك أن يغشى عيه من شدة الفرح، وبدا وكأن الصحراء قد أصبحت مرجاً، والمخربة معمرة، والمرثية مدحية، والقلب الذي يثيره الوصل البدني إثارة يعجز القلم عن وصفها كيف به إذا صادف الوصل الروحي، فإن هذا الوصل البدني شيء تافه لا يذكر أمام الوصل الروحي. وقدمت ديلارام إلى رشيد مثل قدوم مريد إلى سيده وقالت: سامحني فإني قد أخطأت خطأ مميتاً، ووجدت أن الحق معك. فهداني ربي الذي هداك من قبل، والحمد لله ❑ [يتبع]

الجامعة العربية... النشأة والرابطة والأهداف

أحمد الخطيب

بعد ستين عاماً مرت على إنشاء الجامعة العربية، وبعد ثلاثين قمة عربية انعقدت في أكنافها، ابتداءً من قمة أنشاص بمصر عام ١٩٤٦م، وانتهاءً بقمة الجزائر عام ٢٠٠٥م، بعد هذه السنين الطوال، من حق كل مسلم أن يطرح السؤال الطبيعي التالي: ما الذي حققته هذه الجامعة، وتلك القمم؟ وما النتائج التي آلت إليها؟

لقد كانت الوحدة العربية قبل إنشاء الجامعة على مرمى حجر، لكنها بعد ستين عاماً من إنشائها أصبحت في خبر كان، وكانت مظاهر الاتحاد والتضامن بين العرب موجودة بشكل طبيعي قبل وجود الجامعة، ولكن بعد هذا العمر المديد التي وصل بها إلى أرذل العمر أصبحت هذه المظاهر بعيدة المنال بالرغم من مناداة الجامعة بها ليل نهار.

إن الجامعة العربية قد تحولت بعد هذه التجربة الطويلة من الفشل والعجز إلى مادة للتندر تلوكها ألسنة العامة، إنها أصبحت بالفعل تمثل الصخرة الكأداء التي تتحطم عليها أعرض الآمال العربية، فلا يوجد أفضل منها من يستطيع تكريس واقع التنازع والتشرذم والتفتت، وهذا بالضبط ما أراده الغرب المستعمر لمستقبل الشعوب العربية، فالجامعة العربية أثبتت عملياً وبالبراهين القاطعة بأن دعوتها إلى الوحدة العربية ما هي سوى أكذوبة كبرى وملهاة عبثية ألقى بها الاستعمار على عملائه حكام البلاد العربية لإشغال شعوبهم بحكايات وحدوية عروبية مخدرة للعامة، لا تختلف كثيراً عن حكايات ألف ليلة وليلة وعنترة بن شداد والزير سالم. فبدلاً من أن تنشغل هذه الشعوب بمعالجة مشاكلها الجوهرية وقضاياها المصيرية، انشغلت بالحديث عن دسائس الحكام، وقصصهم السخيفة، واهتماماتهم التافهة، ومنازعاتهم الصبيانية، وخياناتهم المكشوفة، وعمالاتهم المفضوحة.

فمن حيث النشأة تعتبر الجامعة العربية بحق وليدة أفكار السياسيين الإنجليز في أربعينات القرن العشرين، ففي الرابع والعشرين من شهر شباط من عام ١٩٤٣م ألقى وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن خطاباً في مجلس العموم قال فيه بأن الحكومة البريطانية: «تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية»، وبعد شهر من إلقاء هذا الخطاب قام مصطفى النحاس رئيس الحكومة المصرية التي كانت تخضع للاحتلال البريطاني بالتشاور مع الحكومات العربية لاستطلاع آرائها في موضوع الوحدة، ثم بدأت سلسلة من المشاورات الثنائية بين مصر من جانب وممثلي كل من العراق وسوريا ولبنان والسعودية والأردن واليمن من جانب آخر. واستمرت الاجتماعات والتحضيرات بين هذه الدول السبع إلى أن تمخضت عن توقيع بروتوكولات تأسيس الجامعة، وتوجت هذه البروتوكولات بالتوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية من قبل مندوبي الدول

العربية في ١٩٤٥/٣/٢٢م، وتحول يوم ٣/٢٢ من كل عام عيداً سنوياً لهذه الجامعة العربية البائسة.

وفي الثامن والعشرين من أيار عام ١٩٤٦م انعقدت قمة أنشاص في مصر، ثم تتابعت القمم العربية حتى وصلت مع قمة هذا العام التي عقدت في الجزائر إلى ثلاثين قمة عربية، لم ينتج عنها إلا المزيد من الفرقة والانفصال والتباعد والتباغض بين الأقطار العربية، ولم تحصد الشعوب منها سوى المزيد من الخيبات والصدمات والنكسات، وكان هذا الحصاد المر لمسيرة الجامعة وقممها ما هو إلى نتيجة منطقية وطبيعية لجامعة عربية بنشأة إنجليزية استعمارية.

لقد اعتمد الإنجليز في إنشاء الجامعة على فكرة القومية العربية، تلك الفكرة التي استخدمتها بريطانيا والدول الأوروبية كأداة هدم ومعول تحطيم لكيان الدولة العثمانية الإسلامية بوصفها آخر دولة خلافة إسلامية، وبدأت الشرارة القومية بالثورة التي أطلقها الخائن الأكبر شريف مكة الحسين بن على ضد الدولة العثمانية بتوجيه وتخطيط وإسناد من بريطانيا، وفي هذا يقول الضابط الإنجليزي لورنس العرب وهو القائد الحقيقي للثورة العربية في الحجاز في كتابه أعمدة الحكمة السبعة: «لقد كنت أؤمن بالحركة العربية إيماناً عميقاً، وكنت واثقاً قبل أن أحضر إلى الحجاز أنها هي الفكرة التي ستمزق تركيا شذر مذر».

فالقومة العربية والقومية الطورانية وسائر القوميات الأخرى هي التي ساهمت بشكل أكيد في تمزيق الخلافة العثمانية، وكان تبني الدول الأوروبية لها واحتضانها لدعاتها الأثر الأكبر في إعطائها الحياة، ولولا أوروبا لما عرف المسلمون معنى القومية، واستخدمت أوروبا فكرة القومية بوصفها أفضل أداة أدّت إلى تمزيق الدولة العثمانية وتشتيت الشعوب الإسلامية.

على أن طبيعة الفكرة القومية من حيث هي فكرة من شأنها أن تؤدي إلى التطاحن والتنافس بين الشعوب، وذلك بسبب مظهر السيادة الغريزي الكامن في فطرة الإنسان، فالقومية رابطة غريزية تتعلق بغريزة حب البقاء، ولا تصلح في حالة الاستقرار، ولا في حالة وجود ارتقاء فكري عند الشعوب، فهي رابطة بدائية لا دور فيها للعقل ولا تحمل في طيّاتها أية أنظمة للحياة تنبثق عنها، وإذا جعلت أساساً للربط بين أفراد الشعب الواحد فإنها ولا شك سوف تعصف بوحدة ذلك الشعب، وتمزقه شر ممزق، أما في حالة الأمة التي تشتمل على مجموعة شعوب فإن اتخاذ القومية رابطة لها سيؤدي حتماً إلى تفكيك الأمة إلى أمم، والدولة إلى دول؛ لأن شعوب الأمة لا يمكن أن تتوافق على عرق واحد من الأعراق يسمو على سائر الأعراق الأخرى، ولكنها تتوافق على فكرة تختارها هذه الشعوب، وترتضيها بمحض إرادتها كفكرة الإسلام، لأن اختيارها في هذه الحالة عائد إلى القناعات والاعتقاد بصحتها.

ولا يوجد أرقى من اختيار الرابطة عن طريق العقل بالاقتناع، ثم إن اختيار القومية كرابطة يعني اختيار شكل من أشكال العصبيات التي تلجأ إليها الشعوب الهابطة فكرياً لجوءاً غريزياً، أما وقد أكرم الله سبحانه وتعالى شعوب الأمة الإسلامية بالإسلام، فلا يصح أن ندع ما أكرمنا الله به، ونرتكس بالقومية إلى حمأة الطين.

والله سبحانه قد خاطب عباده بما يليق بتكريمهم بهذا الدين، فلقد صُدِّرت عشرات الآيات بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولم يخاطبهم بأي وصف قومي أو قبلي أو عرقي أو وطني، وهذا وحده يؤكد عل حقيقة هذه الرابطة الإيمانية

الراقية التي اختارها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المسلمين.

والإسلام في الوقت الذي جعل رابطة العقيدة والإيمان والتقوى هي الرابطة التي يجب أن يلتزمها كل مسلم، نهى المسلمين بصراحة عن اتخاذ القومية، وسائر الأواصر العصبية الجاهلية الأخرى رابطة لهم، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة ٢٢] وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة ٤]. والرسول ﷺ قال في حديث رواه الترمذي وأبو داود: «ليتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فيح من فيح جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب». وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: «كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها رسول الله ﷺ فقال: دعوها فإنها منتنة» وفي رواية: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم». روى أحمد والنسائي حديثاً للرسول ﷺ قال فيه: «من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهني أبيه ولا تكنوا».

فالإسلام إذاً يحكم بشكل قطعي على الرابطة القومية بالحرمة والجاهلية، والعقل الواعي السليم يحكم عليها بفسادها وضررها، لذلك لم يكن اعتماد الأوروبيين للقومية عبثاً، فهم أدركوا تماماً مدى ضررها على الأمة، وتناقضها مع الإسلام؛ لذلك أقاموا الجامعة العربية على أساسها، فكان ما كان من هزال شأنها، وقتلها لآمال العرب بالوحدة، ووجودها ما هو إلا تكريس للرابطة القومية ضمن قانون يصعب التخلص منه، وهذا ما أدّى إلى وجود هذه الحالة المستعصية من الخصام والعداء بين الدول العربية، ووجودها فاقم أيضاً حالة التفتت والتشرذم التي تدب في أوصال العرب والتي رعاها الاستعمار قبل إنشاء الجامعة، وبوجودها أيضاً وجدت حالة العداء الشديد لدى المجموعات الحاكمة للحركات الإسلامية.

هذا من حيث نشأة الجامعة واتخاذها للقومية رابطة لأعضائها، أما بالنسبة لنتائج مؤتمرات القمة العربية فالناظر فيها يجدها تعكس تناقضات الأنظمة العربية نفسها؛ لذلك فالنتائج تخرج في الغالب باهتة مائعة غير قابلة للتطبيق، ولا يتأتى تطبيقها إلا في حالة فرض النتيجة من قبل الدول الكبرى فرضاً على جدول أعمال القمة؛ لذلك نجد هذه الأنظمة العربية التابعة البائسة التي لا تقوى على اتخاذ أية قرارات ذات قيمة، نجدها بشكل مفاجئ تتفق بشكل جماعي على بعض القرارات، وهذا الاتفاق لا يحصل إلا إذا كانت هناك مؤامرات جامعة بين تلك الدول على اختلاف مشاربها، أو كانت هناك خيانة مانعة من اختلافها، وذلك كما حصل في إجماع الدول العربية والتنازل ليهود عن ثمانين بالمائة من فلسطين، مقابل إقامة دويلة فلسطينية مسخ في الضفة والقطاع، في قمة بيروت في العام ٢٠٠٢م.

أما إذا كانت البيانات الختامية لمؤتمرات القمم العربية لا تتعلق بالإجماع على الخيانات والمؤامرات فإنها لا تزيد عن كونها عبارات

إنشائية لا قيمة لها، أو ثرثرة كلامية فارغة من أي مضمون.

لقد كان يُفترض بالجامعة العربية أن تتجه بالدول العربية نحو الوحدة ودفع الأعداء، ونحو التضامن والتآخي، ولكنها بدلاً من السير نحو هذه الأهداف التي وضعتها الجامعة في ميثاقها، ذهبت بعيداً في اتجاه الانفصال، وابتعاد الدول العربية وشعوبها من بعضها البعض، بدليل أن الجامعة التي ابتدأت بسبعة دول قبل ستين عاماً انتهت اليوم باثنتين وعشرين دولة، فتضاعف عددها أكثر من سبع مرات، وبدليل أن الأقطار العربية قبل تشكيل الجامعة كان لدى شعوبها صلات سكانية، ومظاهر وحدوية اقتصادية واجتماعية وسياسية كثيرة، نجد أن هذه الأقطار وبعد ستين عاماً من نشوء الجامعة قد افتقدت تلك الصلات، وتحولت إلى دول متنافرة متعادية غير متماسكة، وتهيمن عليها النزعة الانفصالية تحت مسمى الاستقلال، فالأردنة، والمصرنة، والسعودة، والجزأرة، وهم جراً، قد باتت السمة الأكثر بروزاً على الأعضاء المنضوين تحت إطار هذه الجامعة.

أما بخصوص الدفاع عن الشعوب العربية والذي نصّت معاهدة الدفاع المشتركة على الالتزام به في العام ١٩٥٠م فنجده قد صار هباءً منثوراً، فالعدوان على فلسطين والعراق ولبنان والصومال والسودان وجزر القمر وأريتريا لم يتم دفعه.

وأما التجارة والاقتصاد والتي عزفت الجامعة كثيراً على لحنها، فأُبرمت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية في عام ١٩٥٧م، واتفاقية تنمية التبادل التجاري العربي في عام ١٩٥٣م، ومع ذلك فإن التجارة البينية للدول العربية لا تتجاوز الثمانية بالمائة.

على إن إخفاق الجامعة العربية لم يقتصر فقط على الأهداف الوحدوية التي فشلت الجامعة في تحقيقها، وإنما أخفقت أيضاً في حل أية مشكلة عربية عرضت عليها، فلا هي حلت مشاكل كبرى صعبة كالقضايا الفلسطينية واللبنانية والعراقية والصومالية والسودانية، ولا هي حلت مشاكل أصغر منها كمشاكل الصحراء المغربية وجزر القمر ومشاكل الخلافات الحدودية بين بعض الدول المتخاصمة، بحيث كانت جميع هذه القضايا والمشاكل تحل من خلال الدول الكبرى ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية ودول الإيغاد الأفريقية.

وهكذا، وبعد أن ظهر عجز الجامعة بالأدلة القاطعة على مدى ستين عاماً من إنشائها صار الأولى أن تزول وتندثر، فقد ثبت إخفاقها وفشلها في كل شيء، وأولى بالعرب أن يقوموا بإلغائها، وأن يمسكوا بأمر وحدتهم بأيديهم، وأن يختاروا الرابطة الحقيقية التي تصلح لوحدتهم، بل لا يصلح غيرها لجمعهم، ألا وهي رابطة العقيدة الإسلامية، والتي بها تتحقق الوحدة الإسلامية قطعاً، كما كانت في الماضي ولقرون طويلة، فتجربة الدولة الإسلامية التي عمرت ما يزيد عن الألف وثلاثمائة عام كانت وحدوية حقيقية وعملية للشعوب العربية والإسلامية، وأما تجربة الجامعة العربية في آخر ستين عاماً من حياة العرب فقد أثبتت عجزها عن تحقيق الوحدة، فضلاً عن عجزها في حل أية مشكلة.

فمسألة الوحدة، وحل مشاكل العرب والمسلمين الكثيرة، لن تتحقق، ولن تحل، إلا بتحكيم شرع الله في جميع شؤون الحياة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[النساء ٥٩] ❑

صدق نبوءة «حزب التحرير»

نشرت صحيفة الحياة السودانية، العدد (٦٨٦) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٣م، مقالاً تحت عنوان: «حزب التحرير وصدق النبوءة» بقلم أمينة الفضل، تعلق فيه على فاجعة اتفاقيات الانفصال مع المتمرد قرنق، والتي تبعها مطالبات مثيلة في مناطق أخرى. وتُذَكِّر الصحيفة بتحذيرات حزب التحرير في السودان المتوالية للنظام السوداني، من نتائج هذه الاتفاقيات من مآسٍ في الدنيا، فضلاً عن العذاب في الآخرة. و«**الوعي**» تنشر هذا المقال لإطلاع القراء عليه:

حزب التحرير وصدق النبوءة

في منتصف العام ٢٠٠٣م، أصدر حزب التحرير بياناً عنوانه: «تقرير المصير.. حق أم جريمة؟» وقد تناول فيه اتفاق مشاكوس الإطاري، والذي اعتبره سابقة خطيرة، بل من أخطر ما مر على السودان. هذه السابقة هي حق تقرير المصير أو «الانفصال» ودعم حزب التحرير حديثه بأحاديث نبوية، وأوضح خطورة هذا الاتجاه الذي يكرس لتقطيع أوصال البلاد، وفتح الباب لمناطق وجهات أخرى للمطالبة بحق تقرير المصير، دون أن تستطيع الحكومة رفض هذه المطالبات؛ لأنها قد استنت هذه السنة مع الجنوب..

وذهب حزب التحرير لأكثر من ذلك حينما نصح الحكومة بالتنصل من اتفاق مشاكوس كما تنصل منه قرنق، محذراً الحكومة من أن التودد لقرنق وحركته في الفترة الانتقالية لن يثنيه عن الانفصال؛ لأنه رجل ذو طبيعة متمردة، وهو يكذب إن قال إنه وحدوي، محاولاً الاستفادة من كل شيء لجذب عضوية لحركته. كان هذا تحذيراً من حزب التحرير قبل توقيع اتفاقية السلام، والذي أصبح واقعاً لكنه غير معاش لأسباب يعلمها الجميع، أولها استفزازات وتعالي قرنق، وليس آخرها المطالبة بدولة علمانية لا يرتفع الأذان في مدنها..

نحن نعيش الآن تحقيق ما تنبأ به حزب التحرير، ولو أن الحكومة استجابت لنصح العقلاء لما لعق الجميع أصابع الندم بعد التوقيع، إذ أصبح قرنق كفقاعة الصابون لا يستطيع أحد الإمساك به، وبدأ منذ الآن، وقبل أن تنفذ بنود الاتفاق على أرض الواقع، باستغلال هذه الفرصة وكسب الوقت بالدعاية لحركته التي تحولت بقدرة قادر لحزب سياسي جاء من أحراش غابات الجنوب ليجلس على مقاعد القصر الجمهوري، حتى دون أن يكبد نفسه مشقة طلب تسجيل هذا الحزب السياسي العجيب، ولم لا؟. فهذا زمانك يا مهازل فامرحي!!

ولشد ما أثار ضحكي هو انضمام بعض أبناء الشمال، ممن لا يثبتون على مبادئ، لحركة قرنق «مخلِّص» المهمشين الذين يريدون امتطاء صهوة موضة العلمانية اليائسة، أو يجدون لهم موطئ قدم لتحقيق رغباتهم الذاتية، وليس حباً لوطن، أو عملاً لمبدأ، أو احتراماً لقضية... هؤلاء تائهون، ولهم العذر، لكن قرنق سيستخدمهم درجات سلم يصعد بها حيث يريد ثم يركلها غير عابئ، فمن باع وطنيته ودينه بثمن بخس دراهم معدودة حري بنا ألا نذرف عليه الدموع...

وكما وقعت الحكومة مع قرنق اتفاقاً يعطيه حق تقرير المصير، فإن جهات كثيرة الآن تطالب، وستطالب، والطريق طويل... وهذه ثغرة فتحتها الحكومة، وعليها إغلاقها، فلازالت دارفور تحترق، والشرق آت..! ❑

إصلاح أم تغيير؟

نشرت صحيفة «الوسط» العدد (٣٣) في ٢٠٠٤/١٢/١٥م مقالاً بعنوان (هل اليمن بحاجة إلى إصلاح في النظام السياسي؟ وما هي هذه الإصلاحات؟) وقد أرسل الأخ ناصر اللهبي من حزب التحرير -ولاية اليمن- الرد التالي الذي نشرته «الوسط» في عددها ٣٥ بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٩م والوعي تنقله لما فيه من فائدة:

النظام السياسي بحاجة إلى تغيير لا إصلاح

طالعتنا صحيفة «الوسط» الغراء في عددها ٣٣ بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٥م في الصفحة الخامسة بـ(تحقيق) حول الإجابة على سؤال (هل اليمن بحاجة إلى إصلاح في النظام السياسي؟ وما هي هذه الإصلاحات؟).

والحقيقة التي لابد أن ندركها، إن النظام السياسي في اليمن، وفي غيره من بلدان العالم الإسلامي، بحاجة إلى تغيير وليس إلى إصلاح. والتغيير هو تغيير المفاهيم والقناعات والمقاييس، أي تغيير الأفكار والأنظمة التي تحكمنا، وليس تغيير الأشخاص فقط، فالسؤال الذي يطرح: ما هو النظام السياسي؟

فالنظام السياسي هو:

(مجموع القوانين والأنظمة، والأجهزة التي تطبق الأنظمة والقوانين، وعلاقة تلك الأجهزة بالشعب ومصالحه).

وبنظرة ثاقبة إلى تلك الأنظمة والقوانين نجد أنها أساس الفساد في النظام السياسي الحالي، فهي عبارة عن ثغرات للفساد الحالي والإداري، إضافة إلى أنها لا تفي بمتطلبات الشعب، ولا تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أي إن القواعد التي يبنى عليها نظام الحكم ما هي إلا شعارات أخذت صوراً شكلية من الأعمال، وألفاظاً متعددة من الأسماء. وينقص مفاهيم الحكم تلك التبلور والنقاء والصفاء، بل هي أفكار عامة، غامضة أو شبه غامضة.

فالحريات، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحرية الصحافة، ما هي إلا مفاهيم غائمة عائمة، وأسلوب للتسول والتوسل لدى الغرب؛ ولهذا ليس البحث في الإصلاح، بل البحث في التغيير، أي تغيير النظام السياسي وليس إصلاحه.

فمثلاً، الديمقراطية حكم الشعب، هي فكرة خيالية وكذبة كبرى، فالشعب لا يحكم بل الذين يحكمون هم المتنفذون وأهل المال والجاه والسلطة، والشعب لا يحكم أساساً، والحقيقة الساطعة أن أقلية الشعب هم الحكام وليس الأغلبية منه. فمثلاً في الانتخابات النيابية، الذين انتخبوا تقريباً كانوا أربعة ملايين من عشرين مليوناً، فأين هو الشعب؟ وحتى أين ربعه؟ فمقولة إن الشعب هو الذي يحكم كذبة كبرى. وكذلك في الانتخابات الرئاسية والمحلية.

والقول بأن الأغلبية هي التي تحكم أيضاً كذب. فأعضاء مجلس النواب لا يمثلون حتى ٢٥% من الشعب، والقرار يصدر بـ٥١% من الأعضاء في

المجلس، إذاً فالقرار يصدره (٢٥ × ٥١ = ١٢,٧٥%) إذاً لا يتجاوز ١٣% عدد الذين يصدرون القرار أو يصوتون على القانون من الشعب. إذاً هذه كذبة كبرى؛ ولهذا لابد من إيجاد نظام بديل لهذه الديمقراطية الزائفة التي كذبوا علينا بها.

وإذا أضيف إلى ذلك أن النظام السياسي يضع القوانين لحمايته وحماية مصالحه، كقانون الأحزاب، وقانون الصحافة والمطبوعات والنشر، والقوانين الاقتصادية والسياسية، وقانون الانتخابات، وقانون المظاهرات والمسيرات، فهو يضعها ويكيفها لمصلحته؛ ولهذا تجد رؤساء تلك الهيئات أو الوزارات أو المؤسسات يتحدثون وكأنهم فرع للحزب الحاكم، أو فصيل لأجهزة الأمن، فالتغيير أساساً هو تغيير الدستور والقوانين وليس فقط الأشخاص.

وكذلك لابد من الدعوة إلى إزالة هيمنة السلطة على المؤسسات، وإزالة وتغيير السياسات الخاطئة التي تنتهج حتى الآن!

أما القضاء فحدث ولا حرج، فقوانينه تحتاج إلى تغيير، وكذلك إجراءاته الإدارية بحيث تقوم على ثلاثة أمور:

١- البساطة في النظام.

٢- الإسراع في إنجاز القضايا والتقاضي.

٣- الكفاية والقدرة والتقوى فيمن يتولون تلك الأجهزة حتى يحق الحق ويبطل الباطل.

إن التغييرات يجب أن تكون في الأفكار التي تحكم، وفي العقلية التي تدير هذا النظام السياسي، أي لابد من إيجاد هدف وغاية وقضية مصيرية للنظام السياسي حتى تتجمع كل الجهود والأموال لخدمة الهدف أو الغاية أو القضية المصيرية. ولكننا فاقدون لقضيتنا، سائرون على غير هدى، ننشد الإصلاح من الخارج، ولا نريد أن نلوم أنفسنا، بل بلاؤنا ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بلساننا.

فحقوق المواطنة، وتوزيع الثروة على الناس بالحق والعدل، وإيجاد أناس يعملون لمبدأ وليس لمصاح شخصية أنانية، وإيجاد التعليم والتطبيب المجاني بعيداً عن المتاجرة بعقول وأرواح وأموال الشعب، هي من أسس التغيير.

إن الأحزاب والمؤسسات المدنية هي أساس التغيير أو الإصلاح، ولكن إذا خرجت هذه الأحزاب من عباءة النظام السياسي، وأصبحت تُسبح بحمده ليلاً ونهاراً، فلا أمل فيها، ولا في التغيير، ولا في الإصلاح. والأصل في الأحزاب أنها هي المحاسبة والقائمة على فكر المجتمع وحسه، وهي المناضلة والمتبنية لمصالح الناس، وبالتالي سيجد النظام السياسي المعوج طريقة للتغيير أو الإصلاح.

ولذلك فإننا ندعو إلى تغيير الدستور والقوانين، وليس إصلاحها؛ لأن إصلاحها يطيل عمر الفساد ويجمل صورته؛ لأن الإصلاح يعني إطالة عمر الشيء. فإصلاح السيارة لإطالة عمرها. وكذلك إصلاح النظام السياسي هو إطالة لعمره؛ ومن هنا لابد من التغيير المبني على غاية، وهدف، وقضية مصيرية، وأفكار، وطريقة صحيحة لتحقيق الغاية والوصول إليها، وهذا التغيير لا يكون إلا بإيجاد دستور إسلامي منبثق من كتاب الله وسنة رسوله، يعطي الحقوق، ويفرض الواجبات، ويوزع الأموال والثروة على الناس بالحق والعدل، ولا يكون ذلك إلا بإقامة دولة الخلافة الراشدة القادمة قريباً، إن شاء الله تعالى ❑

يا نساءً بعمائم ولحى

خطب ابن الجوزي، رحمه الله، الناس، أيام الغزو الصليبي لديار المسلمين في الجامع الأموي بدمشق، فقال:

أيّها الناس،

مالكم نسيتم دينكم، وتركتم عزتكم، وقعدتم عن نصر الله، فلم ينصركم؟! حسبتم أن العزة للمشرك، وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. يا ويحكم، أما يؤلمكم ويشجي نفوسكم مرأى عدو الله وعدوكم يخطر على أرضكم التي سقاها بالدماء آباؤكم، يذلكم ويستعبدكم وأنتم كنتم سادة الدنيا، أما يهز قلوبكم وينمي حماستكم مرأى إخوان لكم قد أحاط بهم العدو، وسامهم ألوان الخسف، أفتأكلون وتشربون وتتنعمون بلذائذ الحياة وإخوانكم هناك يتسربلون اللهب، ويخوضون النار، وينامون على الجمر؟!

يا أيّها الناس

إنها قد دارت رحى الحرب، ونادى منادي الجهاد، وتفتحت أبواب السماء، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب، فافسحوا الطريق للنساء يدرن رحاها، واذهبوا فخذوا المجامر والمكاحل يا نساءً بعمائم ولحى. أو لا؟

فإلى الخيول، وهاكم لجمها وقيودها.

يا ناس. أتدرون مما صنعت هذا اللجم والقيود؟

لقد صنعها النساء من شعورهن لأنهن لا يملكن شيئاً غيرها. هذه والله ضفائر المخدرات لم تكن تبصرها عين الشمس صيانة وحفظاً، قطعنها لأن تاريخ الحب قد انتهى، وابتدأ تاريخ الحرب المقدسة، الحرب في سبيل الله، ثم في سبيل الدفاع عن الأرض والعرض.

فإذا لم تقدروا على الخيل تقيدونها، فخذوها فاجعلوها ذوائب لكم وضفائر، إنها من شعور النساء، ألم يبق في نفوسكم شعور؟!

وألقى اللجم من فوق المنبر على رؤوس الناس وصرخ.

ميدي يا عمد المسجد، وانقضي يا رجوم، وتحرقي يا قلوب ألماً وكمداً، لقد أضاع الرجال رجولتهم.

رحمك الله، هذا قولك لمن بلغ ملكهم الأندلس وبلاط الشهداء. فماذا ستقول لنا؟ وبمَ ستصفنا لو رأيت حالنا اليوم؟

النصر آتٍ وهذا وعد خالقنا

عبد الحفيظ مجد - عزون

يـا أيـُّها النَّـاسُ إنَّ الظُّلْـمَ مُنتشِـرٌ ... في كـلِّ قُطرٍ وقَـولُ الحـقِّ قَـدْ كُتِمَـا
هـلْ أمـةٌ في بقـاعِ الأرضِ قـد لَقِيَـتْ ... ضَـعفاً وذُلاً يُـثيرُ الحُـزْنَ والأَلَمَـا
مثـلَ الـذي جاءَنَـا مـن كـلِّ ناحيـةٍ ... إنَّـا نُكِبْنَـا وذُقْنَـا المـوتَ والعَـدَمَا
أعْـداؤُنا غَـدَرُوا والغَـرْبُ قائِـدُهمْ ... والشَّـرقُ ناصِـرُهم والكـلُّ قـد ظَلَمَـا
قـد أَرْهقونَـا بإرهـابٍ فهـم سَـلَبُوا ... كـلَّ الحقـوقِ وقـد صِـرْنَا لهـمْ خَـدَمَا
في كـلِّ يـومٍ لهـمْ قتلـى ومجْـزرةٌ ... قـد أَبْـرَزُوا ضـدَّنا الـوَيْلاتِ والنِّقَمَـا
حَـرقٌ وجَـرفٌ وتَـدميرٌ ألـمَّ بِنَـا ... ممَّـا يُـثيرُ ويُبقِـي الغَـيْظَ مضـطَّرِمَا
يُبْنَـى الجِّـدارُ لحِرمـانٍ وتفرقـةٍ ... فيـه الهـوانُ ولـلإذلالِ قـد رُسِـمَا
سَجْنٌ ونَفْيٌ وخَطْفٌ كلُّها حَدَثَـتْ ... والآنَ تَجـري وتَمضِـي ضِـدَّنا قُـدُمَا
قَـنْصٌ بِغَـدْرٍ وهـذا مـن سـجيَّتِهِمْ ... طَبْـعُ اليهـودِ بهـذا الشَّـأنِ قـدْ وُسِـمَا
لم يُثنِهِمْ عـن سـبيلِ الظُّلـمِ مِـنْ أحـدٍ ... فـالبعضُ أَيَّـدهُمْ والـبعضُ قـدْ وَجَمَـا
والحـاكِمونَ لهـمٌ عـونٌ قـد اتَّخـذُوا ... مـن قائِـدِ الكفـرِ في دُنيـاهُمُ صَـنَمَا
ثُـمَّ انحنَـوا لسـلامِ الـذُّل وَيْلَهُـمُ ... قد أظهروا الخِزْيَ والتَّفْريطَ لا الكَرَمَا
من كلِّ صوبٍ نرى الإجْحافَ يُدْرِكُنَا ... صِرنَا حيـارَى فكـلُّ الحـقِّ قـد هُضِـمَا
لا تَحْسَـبُوا الشَّـرَّ يبقَـى في تقدُّمِـهِ ... لا تَيأسُـوا وَتظنُّـوا الأمـرَ قـد حُسِـمَا
في السَّـابقينَ لنـا دَرْسٌ وموعِظَـةٌ ... مَـنْ قَـدْ تمعَّـنَ في التَّـاريخِ كَـمْ غَنِمَـا
يحقِّـقُ الفـوزَ مَـنْ للهِ غايتُـهُ ... إذْ يُصبحُ الشَّـرُّ مَـدْحوراً وإنْ عَظُمَـا
لا بـدَّ مـن عَمَـلٍ يُفْضِـي لعزَّتِنَـا ... لِنُبْصِـرَ الكُفْـرَ مَخـذُولاً وقـد هُزِمَـا
النَّصـرُ آتٍ وهـذا وعـدُ خالِقِنَـا ... ومَـنْ يُكـابِرْ يَجْـنِ الإثْـمَ والنَّـدَمَا
سَـيَرْفَعُ اللهُ مَـنْ للحـقِّ مرجِعُـهُ ... أمَّـا الضَّـلالُ بكـلِّ الخـزي قـد فُصِـمَا
من جـاء بالظُّـلم فالخُسْـرَانُ صـاحِبُهُ ... وصَـانِعُ العَدْلِ والإحْسانِ قد سَلِمَا □

كلمة أخيرة

عدة الشغل

هل انتهى الزمن الذي يُنظر فيه إلى بعض العاملين في الصف الإسلامي وكأنهم «عدة شغل» تُستدعى حين اللزوم، وتُركن في الزاوية وقتما يشاء الحاكم؟ هل يتلخص دور بعض العاملين وبعض المشايخ في لقطة تلفزيونية تؤخذ له وهو يجلس في الصف الأمامي ثم يُرمى في زوايا النسيان؟

مناسبة هذا الكلام ما حصل في الماضي القريب، وما يحصل هذه الأيام، ومن يدقق فيما يجري من ألاعيب سياسية وإعلامية فإنه سوف يرى أن الأنظمة المحلية تسير على خُطى أميركا وتتعلم منها، بل تتلقى تعليمات منها. فحينما كانت أميركا تخطط لهزيمة وتفتيت الاتحاد السوفياتي قامت بركوب موجة الإسلام والجهاد في مناطق عدة بما فيها البوسنة وألبانيا وأفغانستان، ودعمت العمل بالسلاح، وكلفت بعض الدول العميلة لها بدعم المقاومة ضد الروس.

أما محلياً فإن بعض الدول المجاورة لفلسطين تتذكر بعض الجماعات حينما يلزمها العمل لتنفيذ مخطط من المخططات المرسومة سلفاً، وأحياناً تكتفي بأن يجلس بعضهم في الصف الأمامي لمؤتمر، فتملأ بهم بعض المقاعد لكي يكتمل رسم ديكور الصورة، ثم تطويهم كما تطوى ركائز الكاميرا المرافقة للمهرجان (أي كما تلملم عدة الشغل). وأحياناً يُستدعى هذا البعض للسير في مقدمة مظاهرة استعراضية، وتؤخذ لهم لقطة تلفزيونية تُعرض على الشاشة الصغيرة لثوانٍ معدودة، ثم ينساهم المشاهدون، ويلفظهم أصحاب المهرجان التجييشي. وهكذا تتكرر استدعاءات فريق عدة الشغل في المناسبات، وحينما ينحشر النظام. ومن الملاحظ أن بعض الأنظمة، حينما تشعر بالضغوط الدولية، تجد أن الكثيرين قد انفضّوا من حولها، ولا تجد سوى بعض القوى الإسلامية التي تقبل أن تكون مطية، فتستغلها مجاناً، ولا تجد أرخص ثمناً منها مقابل الظهور الإعلامي التلفزيوني الذي قد يثمر بعض الأصوات الانتخابية.

فحتى متى تستمر هذه المطايا بوصفها عدة الشغل السلطوي؟ وإذا كان المشاهدون ينسونهم... فما كان ربك نسيّا ❑

تحريك الشارع لتغيير الأنظمة

- لم يعد خافياً تصاعد الدور الأميركي في تغيير الأنظمة عن طريق تحريك الشارع، وممارسة الضغط المسمى شعبياً على النظام الحاكم الذي لا يعجب أميركا، أو لا يدور في فلكها، ومن آخر النماذج المستنسخة في ذلك ما حصل في جورجيا، أوكرانيا، وما سوف يتبع من دول أخرى في المستقبل المنظور.
- يلاحظ في هذه النماذج التي تم بسببها تهاوي نظام وقيام نظام بديل أن أميركا لا تمارس لعبتها في التغيير إلا بعد أن تنضج الأمور، ويصبح التحرك الشارعي بقوة تكفي لتشكيل ضغط جارف، أو حتى يصبح الشارع شارعها هي لا شارع غيرها؛ ولهذا تأخر التغيير في دول أخرى مجاورة للدول التي تم فيها التغيير، ويلاحظ قرب تلك الدول من الصين ومن روسيا، رافقه سكوت مطبق منهما.
- يبدو أن دولاً مثل العراق وأفغانستان كان يصعب تغييرهما دون عملية جراحية؛ لذلك لم تستعمل أميركا الشارع للوصول إلى غايتها المرجوة، ولجأت إلى الغزو والاحتلال العسكري، وحتى لو فكرت في الانسحاب، فإنها تخطط لإقامة قواعد عسكرية بموافقة أهل البلد وتوقيع زعمائه العملاء لها، وكأنها بذلك تسير نحو عسكرة العالم كله.
- وفي لبنان قال بعض من يسمون «المعارضة» إن لبنان هو على طريق أوكرانيا، ورد عليه بعض من حُسبوا مع المعارضة «لبنان ليس أوكرانيا»، لكن التقارير الصادرة في الولايات المتحدة، والتي تروج لها مراكز الأبحاث، وبعض المحللين الأميركيين، وبعض المحليين، يروجون لخطط أميركية يصل حدها إلى إقامة قواعد عسكرية دائمة، وحدّدوا البقع الجغرافية المنوي إقامة المعسكرات عليها.
- في لبنان تحرك الشارع بما يشبه حركة الشارع في جورجيا أوكرانيا وقرغيزيا، لكن لبنان له خصوصية طائفية، وتوافق طائفي، تجعل تحرك الشارع لا يكفي، وإنما يلزمه بعض التسويات الدولية حتى ترسو السفينة على شاطئ ما من شواطئ الصراع الدولي على لبنان، وعلى غيره من بلدان الفسيفساء الهشة، فهل يستعملون «الحرب النظيفة» أم غيرها؟! ومن سيكسب الجولة أميركا أم غيرها؟ ❑